وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة العربي التبسي – تبسة
Larbi Tebessi University – Tebessa
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
Faculty of Humanities and Social Sciences

قسم الفلسفة.
تخصص : فلسفة غربية حديثة ومعاصرة .

مذكرة ماستر تحت عنوان

فكرة اللامنهج عند بول فيرابند

مذكرة مقدمة لنيل شهادة اماستر L.M.D

من إعداد الطالب
- سلاطنية لطفي .

إشراف الأستاذ
- د/ فيصل زيات

أعضاء لجنة المناقشة:

الاســـم واللقـــب	الرتبـــة العلميـــة	الصفـــــة
حاتم بن عزوز.	أستاذ مساعد -ب-	رئيســا
فيصل زيات .	أستاذ محاضر-أ-	مشرفـا ومقررا
فريد بولمعيز.	أستاذ محاضر- أ-	عضوا ممتحنـا

السنة الجامعية 2021 / 2022

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير :

الحمد لله أوّلا الذي وفقنا إلى إتمام هذا الإنجاز، والذي رغم تواضعه إلا أنه أخذ ما يكفي من الوقت والجهد و بعد الله، فإن شكرنا الجزيل موصول بالعـــــــــــرفان إلى **أســـــــــــــــاتذة القسم** عموما ســـــواء من خصّـــــــــونا بالمـــــــــــــــــحاضرات أو بالأعمال الموجّهة.

ونخص منهم بالذكر مؤطر هذا العمل ومشرفه،الأستاذ الدكتور **/ زيات فيصل** بالشكر والعرفان و الذي كان نعم المشرف و الموجّه طيلة فـــــــــــــــــــــترة البحث. فجزاكـــــــــــــــــــــم الله عنا و عن كل الطّلـــبة كل الخير و الثواب.

الشكر موصول للسيد **رئيس قسم الفلسفة** ،والسيدات أعضاء لجنة الإشراف في مناقشة هذه الدراسة **(الدكتور: فريد بولمعيز و الدكتور حاتم بن عزوز)**.

كما لا يفوتنا أن نسدي تحية الشكر والمودة لكل **زميلات و زملاء** الفوج الأول على كل ما أبدوه من تعاون و احترام طيلة مشوار الدراسة.

وللجميع نأمل الحظ الموفق والعمل السديد إن شاء الله.

لطفي

الإهداء

إلى عائلتي و أساتذتي الكرام

و إلى كل من ساندنا و وقف معنا من قريب أو من بعيد في إتمام الدراسة.

مقدمة

مقدمة:

تمثل المعرفة العلمية الشغل الشاغل للوجود الإنساني، وذلك لامتلاكه ملكة العقل ، التي من خلالها يسعى إلى إدراك الحقيقة وبلوغ المعرفة السليمة واليقينية ، ولامتلاكها يحتاج إلى وسائل وطرق منهجية سواء كانت عقلية تخص الطبيعة غير المحسوسة أو تجريبية تخص الواقع المحسوس.

حيث نجد أن الفكر البشري في سيرورة مراحله التاريخية قد عرف العديد من المناهج العلمية التي اختلفت في أشكالها وقواعدها ، منها ما هو عقلي استنباطي ، ومنها ما هو تجريبي واقعي ، لتظهر الإرهاصات الأولى لفكرة المنهج مع الفيلسوف اليوناني ،أرسطو الذي كان السباق لهذه المهمة من خلال تأسيسه للاستدلال الإستنتاجي ، حيث اهتم بوضع مجموعة من القواعد العقلية التي يسير عليها العقل لتعصمه من الخطأ وبناء معرفة منطقية.

ولكن كنتيجة للحركة الإبستيمية التي عرفتها مسألة المنهج في ميدان فلسفة العلوم في العصر الحديث ظهر ما يعرف بالمنهج الاستقرائي على يد رواد النزعة التجريبية **(فرانسيس بيكون ، جون ستوارت مل ،ودافيد هيوم)** ، هذا المنهج الذي يقوم على جملة من الخطوات والمبادئ العقلية (كالفرضية والعلية)، والتجريبية(كالملاحظة والتجربة أو الاختبار التجريبي) والذي كان وراء نجاح علوم المادة الجامدة كالفيزياء والأحياء والعلوم الإنسانية فيما بعد كالتاريخ وعلم النفس وعلم الإجتماع، نتيجة نقلها للمنهج التجريبي وتطبيقه على موضوعاتها ،لكن مع الحفاظ على خصوصياتها ،ليكون فاصلا بين الدراسات العلمية واللاعلمية ، وسبيلا للدراسات التي تسعى إلى تحقيق ذلك الهدف (تحقيق التطور والتقدم).

لكن سرعان ما تعرض هو الآخر إلى حركة نقدية شرسة من طرف فلاسفة العلوم في القرن التاسع عشر وكذلك القرن العشرين ، اتجهت نحو المبادئ والأسس التي

يقوم عليها هذا المنهج العلمي ، مما أدى إلى ظهور ما يعرف بمشكلة الاستقراء ،لتكون بذلك ثورة جديدة حول فكرة المنهج الصالح للعلم ،لتظهر العديد من المناهج المتباينة الرؤى والقواعد والمعايير، ليكون القرن العشرين عصرا لفكرة الفوضوية المنهجية ، وبهذا فالعلم أصبح مشروعا يتطور على أساس انتهاك تلك العقلانية السائدة التي تؤمن بفكرة الثبات ، لتكون المناهج العلمية السائدة هي مناهج نسبية متعددة ولا وجود لمنهج واحد للعلم .

هذا ما جعل فيلسوف العلم النمساوي المعاصر **بول فيرابند(1924-1994)** من أهم فلاسفة العلم للقرن العشرين الذي تميز بالجرأة ، وأحد نقاد العقلانية الغربية عموما والعلم والمنهج خصوصا ، يؤسس مشروعا فلسفيا يتمركز حول فكرة الفوضوية المنهجية ، وهذا ما جعله يحتل مكانة رفيعة في فلسفة العلوم المعاصرة ، ومن ثمة كان اختيارنا له لأن يكون موضوعا وعنوانا لمذكرة بحثنا ، التي جاءت بعنوان: **فكرة اللامنهج عند فيرابند**

لنحاول من خلالها الإجابة عن الإشكالية التالية: **هل يمكن الحديث عن منهج واحد للعلم أم هناك بدائل منهجية أخرى ؟ وما موقع الإنسان داخل هذه التعددية المنهجية؟**

وللإجابة عن هذه الإشكالية العامة ،حاولنا الإجابة عن أسئلة جزئية :

- **كيف استطاع الفكر العلمي الانتقال من فكرة المنهج إلى اللامنهج؟**
- **وهل استطاع المنهج العلمي (منطق الكشف والتبرير) أن يصمد أمام الفكر الابستيمولوجي للقرن العشرين ؟**
- **هل الفكر العلمي عرف منهجا واحد أم مناهج متعددة ؟**
- **وما مدى انعكاس فكرة اللامنهج على تطور العلم والإنسان ؟**

وقد كان اختيارنا لهذا الموضوع لعد ة أسباب منها ما هو ذاتي ،ومنهـــا مـــا هـــو موضوعي ،أما عن الأسباب الذاتية فهو راجع إلي ميلنا إلى مواضيع فلسفة العلوم وذلـــك لارتباطها بالواقع العلمي، وكذلك قلة الدراسات لهذه الشخصية الفكرية .

أما عن الأسباب الموضوعية التي قادتنا لتكون الدراسة حول "فيرابند "هي أن هذا الأخير بفكره يحتل مكانة مهمة في الفكر الفلسفي المعاصر ، وأهميته تكمن في القضـــايا التي تناولها في مجال "العلم" والحضارة الإنسانية المعاصرة ، بالإضافة إلى ذلك الرغبـــة في تحليل وفهم المشروع الابستيمولوجي لـــــــــــــــــــــ: **فيرابند**.

وللإجابة عن هذه التساؤلات قمنا بتقسيم بحثنا إلى فصلين :

الفصل الأول : الذي كان بعنوان **الخلفيات الأساسية لفكرة اللامنهج** ، والـــذي تطرقنا فيه إلى ثلاث مباحث ، فكان **المبحث الأول** بعنوان: **فكرة اللامنهج** والذي تضمن عنصران ، تطرقنا في **العنصر الأول إلى مفهوم المنهج** ، أما العنصر الثاني قد تناولنا فيه فكرة المنهج من حيث تاريخيتها .

أما الفصل الثاني :فكان بعنوان من **فكرة المنهج إلى فكرة اللامنهج في فلسفة فيرابند**

وقد تناولنا فيه ثلاث مباحث، جاء الأول بعنوان : **الفوضوية الابســـتيمولوجية عنـــد فيرابند** ،أما المبحث الثاني : فجاء بعنوان **ضد المنهج** ،**والتعددية المنهجية وتطورالعلم**.أما المبحث الأخير فكان بعنوان : **من الفوضوية المنهجية إلى النزعة الإنسانية** ، حيث تطرقنا إلى مدى انعكاس هذه الرؤية على الإنسان وحدودها.

وقد اعتمدنا في هذا البحث على المنهج التحليلي المناسب للتعامل مع نصوص فلسفة "فيرابند " وكذلك المنهج المقارن، وقد قمنا بتحليلنا لإشكالية البحث بالاعتماد أو الرجـــوع في أكثر الأحيان إلى المؤلفات الأصلية التي كتبت بها ، وإن كان وصولنا إليهـــا يتميـــز بالصعوبة بالإضافة إلى صعوبة دراسة لغة "**فيرابند**".

أما عن المصادر والمراجع المعتمدة :لإنجاز هذه الدراسة كان لابـــد مـــن العـــودة للمصادر الأساسية لـــ **فيرابند** ، حيث اعتمدنا على مؤلفاته الأصلية التي تخص فلســـفة

العلوم خاصة تلك التي تناولت مشروعه الإبستيمولوجي بالتفصيل والتحليل مثل كتاب "ثلاث محاورات في المعرفة" التي اعتمد في تأليفها **بول فيرابند** على المحاورة للتعبير عن رؤيته الفكرية الابستيمولوجية ،وكذلك مؤلفه الشهير"ضد المنهج " الذي أثار جدلا في الأوساط الفكرية، بالإضافة إلى العديد من المراجع ذات الصلة بفلسفة العلوم المعاصرة عموما و**فيرابند** خصوصا، مثل مؤلف "**يمنى طريف الخولي**" فلسفة العلوم في القرن العشرين وكذلك كتاب التمييز بين العلم و اللاعلم لـ محمد أحمد محمد السيد.

أما عن الصعوبات التي قد اعترضتنا في إطار انجاز هذه الدراسة فهي عديدة حاولنا تذليلها لعل أهمها قلة المراجع باعتباره شخصية معاصرة ، إلى جانب صعوبة فهم النص الفلسفي في بعض الأحيان ، نظرا لعمقه وتحليله المدقق للمنهج العلمي .

الفصل الأول

الخلفيات الأساسية لفكرة

اللامنهج عند فيرابند

مدخل :

إن ابستيمولوجيا **فيرابند** مرآة عاكسة لعبقرية فكرية غربية معاصرة في فلسفة العلوم استطاعت أن تبدع لنا مفاهيم ومواقف وأفكار جريئة لم تعهدها الابستيمولوجيا الكلاسيكية تجلت من خلالها قدرته على نقل ما هو سياسي اجتماعي إلى ما هو معرفي علمي ، لبناء تصور فكري جديد للمعرفة العلمية ومناهجها ،ولعل أهمها : فكرة اللامنهج (الفوضوية) ، النسبية و اللامقايسة ...الخ ،التي جاءت لتدحض التصور الابستيمولوجي الكلاسيكي،لينتقل الفكر العلمي المعاصر من مسألة المنهج إلى مسألة اللامنهج ، وهذا ما دفعنا إلى طرح التساؤل التالي : **ما هي الخلفيات الأساسية لتكوين فكرة اللامنهج عند فيرابند؟**

المبحث الأول : في مفهوم اللامنهج

1. **المنهج:**

– معنى الكلمة :

ويحسن بنا أن نوضح ما المقصود بكلمة منهجMéthode بصفة عامة والمقصود بالمنهج العلمي ، بصفة خاصة ، يمكن أن نقول عن المنهج بصفة عامة أنه الترتيب الصائب للعمليات العقلية التي نقوم بها بصدد الكشف عن الحقيقة والبرهنة عليها،ويمكن تعريف المنهج العلمي على أنه" **تحليل منسق وتنظيم للمبادئ والعمليات العقلية والتجريبية التي توجه بالضرورة البحث العلمي أو ما تؤلف بنية العلوم الخاصة**"[1] .

وهذا اللفظ ترجمة للكلمةméthode الفرنسية ونظائرها في اللغات الأوروبية الأخرى ،وكلها تعود في النهاية إلى الكلمة اليونانية Methodologiaوهي كلمة نرى "**أفلاطون**"يستعملها بمعنى البحث أو النظر أو المعرفة ، كما نجدها كذلك عند"**أرسطو**"

[1] محمد محمد قاسم ، نظرية المعرفة في ضوء المنهج ، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية ، مصر، د ط ،1986،ص 77.

أحيانا كثيرة بمعنى "بحث"ومعنى الاشتقاق الأصلي لها يدل علـــى الطريـــق أو المـــنهج المؤدي إلى الغرض المطلوب ، ولكنه لم يأخذ معناه الحالي ،أي بمعنى أنه طائفـــة مـــن القواعد العامة المصوغة من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلم .[1]

ففكرة المنهج تمثل مركزية النسق المعرفي القديم حيث أن الميتودولوجيا كانت أحـــد المباحث الفلسفية التي تندرج ضمن نظرية المعرفة . وهي علم المناهج والمقصـــود هنـــا مناهج العلوم، والمنهاج العلمي هو "**جملة العمليات العقلية والخطوات العملية التي يقوم بها العالم من بداية بحثه حتى نهايته، من أجل الكشف عن الحقيقة والبرهنة عليها**"،وبما أن العلوم تتمايز بموضوعاتها فهي تختلف كذلك في مناهجها ، ولذلك لا يمكن الحديث عـــن منهج عام للعلوم ، للكشف عن الحقيقة في كل ميدان ، بل فقط عن مناهج علمية [2] ،وعليه فالمنهج هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحديد عملياته حتى يصل إلى نتيجة[3]، سواء كانـــت هـــذه القواعد عقلية أم تجريبية.

[1] – محمد عابد الجابري ،مدخل إلى فلسفة العلوم ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،لبنان ، ط1،1976،ص10.

[2] – عبد الرحمان بدوي ، مناهج البحث العلمي ، مرجع سابق، وكالة المطبوعات،شارع فهد سالم ، الكويت ،ط3،1977، ص 5.

فالمنهج هو مجموعة القواعد التي يتم وضعها بقصد الوصول إلى الحقيقة في العلم أو هو الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة من أجل اكتشاف الحقيقة [1]فالمنهج العلمي هو الأداة التي يستخدمها الإنسان ليوسع من أفاق معرفته ويزيد ثروته من المعلومات المختبرة والوثوق بها، فهو طريق الباحث للوصول إلى المعارف والحقائق ووسيلة للتحقق من مدى ثبات وصدق صحة هذه المعارف والحقائق .

فهو الوسيلة الوحيدة التي يمكننا عن طريقها الوصول إلى الحقيقة أو مجموعة الحقائق من إي موقف من المواقف، ومحاولة اختبارها للتأكد من صلاحيتها من مواقف أخرى ، وتعميمها لنصل إلى ما نطلق عليه اصطلاح نظرية وهي هدف كل بحث علمي [2]

وعلى هذا الأساس تنوعت المناهج انطلاقا من تنوع المواضيع المدروسة، وأكثر من ذلك كان المنهج حدا فاصلا بين الدراسات العلمية والدراسات اللاعلمية التي لا يتحقق فيها هذا الشرط ، فاستقلال العلم عن الفلسفة من حيث الموضوع والمنهج في العصر الحديث كان سببا في تطور المعرفة العلمية في علوم المادة الجامدة كالفيزياء والفلك وكذلك الحية ، ويعود الفضل في ذلك إلى المنهج التجريبي الاستقرائي ،فكان التجريب هو الوسيلة التي من خلالها استطعنا أن ندرك حقائق الأشياء ، وهي التي تحدد الطابع العلمي للدراسات والمعارف ، وما عدا ذلك يخرج من العلمية أي اللاعلم، ولهذا رأى "جون ستوارت مل " أن المنهج الاستقرائي هو آلية الاستدلال الوحيدة التي يمتلكها العقل ومنطق العلم ومنطق العمل ومنطق الحياة [3] هذا المنهج الذي يقوم على أساس هام هو الخبرة الحسية بصفة عامة ، حيث يتوارى تأثير الاستدلال العقلي بجانب الدور الأساسي للمشاهدات الحسية

---

[1] – عبد الرحمان بدوي ، مناهج البحث العلمي ، مرجع سابق، ص 18-19.

[2]– مروان عبد المجيد إبراهيم ، أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية ، مؤسسة الوراق ،عمان ، الأردن ، ط1، 2000، ص 69.

[3]– يمنى طريف الخولي ، فلسفة العلم في القرن العشرين ،سلسلة عالم المعرفة ، يناير 1978،إشراف أحمد مشاري، ص 170.

التي كانت تلعب دورا كبيرا في الاكتشافات العلمية ، ويسمى بالمنهج الاستقرائي وذلك لاعتماده بصورة أساسية غلى الاستقراء كمنهج وحيد للبحث العلمي [1] الذي يقوم على مجموعة من الخطوات الإجرائية ، والتي تتمثل في : الملاحظة ، الفرضية التجربة .

ونقصد بكلمة اللاعلم كل الأنشطة والفعاليات الفكرية التي لا تتفق مع العلم في منهجه أو في مقصده أو فيهما معا ، والتي لا يمكن إخضاع قضاياها للاختبار التجريبي وإعادة الاختبار ، ومن هنا فان هذا المصطلح يشمل الميتافيزيقا والايدولوجيا والسحر والتنجيم والأسطورة[2] ومنه فمصطلح العلمية يرتبط دائما بفكرة المنهج خصوصا الاستدلال التجريبي ومن هذا المنطلق كان الاهتمام الرئيسي لأصحاب الاتجاه الاستقرائي ينصب حول الطريق المؤدي إلى الكشف عن القوانين ،واعتقدوا أنه من الممكن رسم منهج لتحقيق ذلك ، فنجد كل من "فرانسيس بيكون" و "جون ستيوارت مل" قد حاولا تشييد منطق للكشف موازيا لمنطق البرهان وقاما بصياغة المناهج التي من وجهة نظرهما تمكن من اكتشاف قوانين الظواهر كنتيجة لتحليل وقائع الملاحظة والتجربة ،كما وضع كل منهما منطقا منهجيا على غرار المنطق الأرسطي من اجل الوقوف على الحقائق الكونية ومن ثم ادعت انق واع الاستقراء تفسر العلمية المنطقية للكشف عن القوانين.

2-تاريخية فكرة المنهج

إن الإنسان هو ذلك الكائن الذي يمتلك بعدين مادي و ميتافيزيقي، هذا الأخير الذي يتمثل في العقل الذي يعتبر أساسا لبناء المعرفة عموما والعلم خصوصا ،والتي لا تتحقق إلا بوجود منهاج لأنه رهين بها تدور معه وجودا وعدما ، والدارس لها يجد أن الفكر البشري قد عرف العديد من المناهج ، كطريق أو أسلوب لتحصيل المعرفة العلمية.

[1] محمد محمد قاسم ، نظرية المعرفة في ضوء المنهج ، مرجع سابق ،ص86،87.

[2] محمد أحمد محمد السيد ، التمييز بين العلم واللاعلم ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، مصر، د ط،1997 ص1.

أ-ففي الفكر الفلسفي القديم:

يعتبر الفيلسوف اليوناني "أرسطو طاليس " (384-322 ق،م)الذي يلقب بالمعلم الأول السباق لهذه المهمة ،التي تتمثل في وضع منهج للمعرفة وذلك من خلال تأسيسه للمنطق الصوري في كتابه "الأرغانون" كوثيقة منجهية أولى ، تلك الآلة التي تعصم الذهن من الوقوع في الخطأ ، فهو آلة تميز بين التفكير السليم والتفكير الفاسد ، ويعلم الإنسان قواعد التفكير الصحيح ،ويعوده على استعمال البراهين العلمية بدلا من اللجوء للتبريرات والمشاعر العاطفية ،لذا فهو يوجه الإنسان إلى نقد علمي صحيح ويبعده عن النزعة الدوغمائية والتعصب لأرائه[1] فكان المنطق آلة العلم أو الأداة التي يقوم بفضلها التفلسف ،والمنطق عماد الفلسفة وجوهر الميتافيزيقا ،بل ربما يصح القول أنه هيكل كل فلسفة [2] وبهذا كان المنطق الوسيلة و الأداة التي يجب أن نمتلكها لبناء معرفة خالية من الزلل والخطأ ، والبناء هو أي بحث فلسفي ، وقد كان علم الطبيعة عند أرسطو أحد العلوم الفلسفية، ولكي نقيم البناء لا بد من التمكن من الأداة وهي التسلح بالمنطق [3] وقد قسمه إلى ثلاث مباحث رئيسية وهي : مبحث الحدود والتصورات ، مبحث الأحكام والقضايا ، مبحث الاستدلالات هذه الأخيرة التي تعتبر حركة فكرية تنطلق من مقدمات عامة إلى نتائج جزئية سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة أو ما يعرف بالقياس الذي يعتبر من أهم أركان المنطق التقليد ي وهو أهم مقاصد المنطق يقول الساوي :" معرفة الحجة هي المقصود الأهم من المنطق "ويعرفه أرسطو بقوله :" قول إذا وضعت فيه أشياء أكثر من واحد لزم شيء ما أخر من الاضطرار لوجود تلك الأشياء الموضوعة بذاتها " [4] فكان

---

[1] – هادي فضل الله ، مقدمات في علم المنطق ، دار الهادي للطباعة والنشر لبنان، د ط، د ت، ص34.

[2] – المرجع نفسه ، ص37.

[3] – محمود فهمي زيدان ، الاستقراء والمنهج العلمي ، دار الجامعات المصرية ، الإسكندرية ، مصر ،د ط،1977،ص61.

[4] – هادي فضل الله ، المرجع نفسه، ص242.

المنطق حجة على المعرفة الصحيحة والسليمة من خلال القياس وأشكاله المنطقية المختلفة ،وندلل على ذلك قول أبو حامد الغزالي :" من لا يعرف المنطق لا يوثق بعلمه "، ويقـــول أيضا إيمانويل كانط :" إن المنطق ولد تاما مع أرسطو ". وهذا ما جعله صناعة سيطرت على الفكر البشري مدة قرون طويلة ، حتى عصر النهضة والأنوار(التنوير) .

ب- **في الفكر الفلسفي الحديث :**

❖ النزعة العقلية :Rationalism

وهي نزعة فكرية فلسفية أمنت بسلطان العقل في التأسيس للمعرفة الصـــحيحة واليقينيـــة والثابتة ، التي تتخطى حدود الزمان والمكان،وتنقسم إلى ثلاث اتجاهات رئيسية :

- ✓ **المذهب العقلي الميتافيزيقي :** وقد مثله أفلاطون وقد اتخذ منهج الفكر الخالص .
- ✓ **المذهب العقلي الرياضي :** ويمثله ديكارت وسبينوزا الذي اتخذ العقل منهجا للمعرفة.
- ✓ **المذهب الصوري أو النقدي :** ومثله كانط الذي حاول أن يضع نهاية مقبولـــة بـــين المنهج العقلي في صورته التقليدية والمنهج الحسي،فكان نقديا[1].ولغل من بـــين أهـــم الفلاسفة في العصر الحديث :

- **رينيه ديكارت (15961650)René Descartes**فيلسوف فرنسي و رياضي وعالم، يعتبر من مؤسسي الفلسفة الحديثة ومؤسس الرياضيات الحديثة ،وأهم وأغزر العلماء نتاجا في العصور الحديثة ، حيث أن الكثير من الأفكار و الفلسفات الغربية اللاحقـــة هي نتاج وتفاعل مع كتاباته التي درّست و تدرّس من أيامه إلى أيامنا. لـــذلك يعتبـــر ديكارت أحد المفكرين الأساسيين و أحد مفاتيح فهمنا للثورة العلمية والحضارة الحديثة في وقتنا هذا. يمجد اسمه بذكره في ما يدعى هندسة ديكارتية التي يتم بهـــا دراســـة

[1]-إبراهيم مصطفى إبراهيم ، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، مصر، ط1،2000،ص65.

الأشكال الهندسية ضمن نظام إحداثيات ديكارت ضمن نطاق الهندسة المستوية التي دمجها مع الجبر ، وعلى هذا الأساس فقد كان للرياضيات دور في تأسيس فكرة المنهج العلي عند ديكارت ، وذلك لما تتميز به الحقيقة الرياضية من وضوح في أفكارها وبداهتها[1]

يعارض ديكارت النزعة التجريبية التي أمنت بسلطان الملاحظة الحسية والتجربة كوسيلة لبلوغ المعرفة ،فقد أعلن ديكارت في مستهل مقالته في المنهج شمول الفطرة السليمة أي العقل جميع البشر ، حيث راح يعمل على قواعده الخاصة بالمنهج على غرار القواعد الرياضية الأكثر دقة [2] وقد حدد ديكارت في مؤلفه (المقال في المنهج) أربع قواعد أساسية ينبغي على الإنسان إتباعها في البحث عن الحقيقة وهذه القواعد تتمثل في :

1-قاعدة البداهة والوضوح : Règle de levidence

أن لا يتم التسليم بأمر ما على انه حق ، إلا إذا تبين بوضوح وجلاء انه كذلك ، أي لا ندخل في أحكامنا إلا ما يقبله العقل بوضوح ،ونتجنب التعجل في الحكم و الأخذ بالأحكام السابقة والآراء الموروثة .

2-قاعدة التحليل :

فحوى هذه القاعدة هو أن نقوم بتحليل وتقسيم المشكلات بقد رالمستطاع، وبحسب ما تقتضيه طبيعة البحث في نوع المشكلة ،حيث ترمي هذه القاعدة إلى محاولة تحليل الحقائق وتقسيمها إلى حد يسمح لنا بدراستها وبلوغ الهدف منها .

3-قاعة التركيب :**Oede** أن يعاد تأليف وترتيب الأفكار وذلك من خلال التدرج من البسيط إلى المعقد، وهذه القاعدة نابعة من قاعدة التحليل ، وهي حركة فكرية تصاعدية .

---

[1]-راوية عبد المنعم عباس ، ديكارت والفلسفة العقلية ،دار النهضة العربية ،بيروت ،لبنان ،دط،1996،ص77،78.

[2]- جنفياف روديس لويس، ديكارت والعقلانية ، تر: عبده الحلو ، منشورات عويدات ،بيروت ، باريس ، ط4،1988،ص18.

4-قاعدة الإحصاء والاستقراء :**Règle des dénombrements entiers**

التأكد من أننا لم نغفل في أثناء عملية التركيب أي جز من أجزاء المشكلة المطروحة للحل[1] فقد كان المنهج الديكارتي بمختلف قواعد انعكاسا للمنهج الرياضي القائم على البرهان بنوعيه التحليلي والتركيبي .(التنازلي والتصاعدي).الذي أراد من خلاله روني ديكارت بناء معرفة يقينية وواضحة،هذا المنهج الذي يستوعب جميع المعارف.

❖ **النزعة التجريبية :Empiricism**

لكن عيوب وسلبيات المنطق الأرسطي من جهة ،و تلك الحركة الابستيمية أو النقدية التي طبعت الفكر البشري في العصر الحديث سواء نحو اللاهوت أو العقل ،أدت إلى ظهور ما يعرف بالمنهج التجريبي أو الاستقرائي على يد رائد المدرسة التجريبية الانجليزية "فرنسيس بيكون" (1561.1626) الذي كان هدفه الأساسي إصلاح أساليب التفكير وطرق البحث التي تمكننا من السيطرة على الطبيعة من خلال الملاحظة والفرضية والتجربة فكان له الفضل الكبير في تأسيس هذا المنهج في وقت سيطرت فيه ميتافزيقا الأخلاق ومنطق أرسطو ولاهوت توما الإكويني على الجامعات[2]،وقد أدرك بيكون بأن العيب الأساسي في طريقة التفكير لدى فلاسفة اليونان والعصور الوسطى أنه ساد الاعتقاد بأن العقل النظري وحده كفيل بالوصول إلى العلم، ورأى أن الداء كله يكمن في طرق الاستنتاج القديم التي لا يمكن أن تؤدي إلى حقائق جديدة، فالنتيجة متضمنة في المقدمات. فثار ضد تراث أفلاطون وأرسطو بأسره وظهر له بأن الفلسفة المدرسية شيء مليء بالثرثرة، غير واقعي وممل للغاية، كما أنها لم تؤد إلى نتائج، وليس هناك أمل في تقدم العلوم خطوة واحدة إلا باستخدام طريقة جديدة تؤدى إلى الكشف عن الجديد وتساعد على الابتكار لما فيه خير الإنسانية ، وبالتالي فالهدف من المعرفة هدف نفعي ، ذلك هو

[1] راوية عبد المنعم ، ديكارت والفلسفة العقلية ، مرجع سابق ،ص94،95.

[2] محمود فهمي زيدان ، الإستقراء والمنهج العلمي ،مرجع سابق،،ص59.

الدرب الجديد الذي يجب أن تسير فيه الفلسفة والعلم [1] ليؤسس **فرانسيس بيكون** المنهج العلمي أو الاستقراء الذي كان رد فعل للمناهج التي شاعت حتى عصر النهضة والتي تمثلت في الاستدلال القياسي بوجه خاص [2] ومنه كان الاستقراء نتيجة للحركة النقدية التي اهتمت بالمنهج العلمي

- **الاستقراء :** حركة فكرية استدلالية تنتقل من مقدمات إلى نتائج ، وينقسم إلى:

الاستقراء التام:القائم على إحصاء كلى وتام لجميع عينات الموضوع المدروس

الاستقراء الناقص:القائم علي إحصاء جزئي لعينات الموضوع المدروس .

وهذا الأخير يعتبر من أهم أنواع الاستقراء في العصر الحديث وأكثرها اهتماما وعناية من جانب المناطقة والعلماء ، وقد سمي ناقصا تمييزا له عن الاستقراء التام لأرسطو الذي يحوي في مقدماته إحصاءا كاملا لكل الأمثلة التي تشهد على صدق النتيجة ، وقد سمي الاستقراء الناقص بالعلمي واليقيني ،لأنه يعتبر منهج البحث العلمي في العلوم التجريبية كالطبيعة و الكيمياء والأحياء ، كما استخدمته بعض العلوم الإنسانية كالتاريخ والنفس والاجتماع ،ويقوم الاستقراء على دعامتين أساسيتين :

- ✓ **مبدأ اطراد الظواهر في الطبيعة :**الذي يفترض أن الظواهر والوقائع تحدث في المستقبل بنفس الطريقة التي حدثت بها في الماضي والحاضر ، انطلاقا من انتظام الظواهر في الزمان ،
- ✓ **مبدأ العلية :** والمقصود به أن الحوادث والظواهر الطبيعية لا تحدث عبثا ولا صدفة ، وإنما لكل حادثة علة أحدثتها[3] لتشكل هذه المبادئ أساس مشكلة الاستقراء في العصر الحديث ، ويقوم الاستقراء على المراحل والخطوات التالية :

أ – مرحلة الملاحظة والتجربة.

---

[1]– محمد عابد الجابري ، مدخل إلى فلسفة العلوم ، مرجع سابق ، ص238.

[2]– محمود فهمي زيدان ، الاستقراء والمنهج العلمي ،مرجع سابق ص44.

[3]– معن زيادة ، الموسوعة الفلسفية العربية ، معهد الإنماء العربي ،مكتبة مؤمن قريش ، 1988 ، ص60.

ب- مرحلة الفروض العلمية

ج- مرحلة التحقق التجريبي .

لكن الجذور التاريخية للاستقراء تمتد قديما إلى **أرسطو** حيث يعتبر أول من استخدم كلمة استقراء ،والكلمة اليونانية التي أشار بها إلى الاستقراء تعني "مؤد إلـــى " leading toأي الدرب الذي يؤدي بالطالب من الجزئي إلى الكلي ،حيث يعرفه بأنه إقامـــة قضـــية ليس عن طريق الاستنباط و إنما بالالتجاء إلى الأمثلة الجزئية التي يكمن فيها صدق تلك القضية العامة أوهي البرهنة على صدق قضية ما صادقة صدقا كليا بإثبات أنها صـــادقة في كل حالة جزئية إثباتا تجريبيا [1]، وتجدر الإشارة أيضا أنه لا نستطيع القول أن بيكـــون هو أول من نادى بالمنهج الاستقرائي فقد سبقه علماء آخذوا بمنهج الملاحظـــة والتجربـــة وجمع الوقائع بقصد اكتشاف القوانين الطبيعية ،قبل أن يصوغ بيكـــون قواعـــد منهجـــه ،ومنهم **وليم جلبرت (1540-1603)** مؤلف كتاب في المغناطيس و أيضا جاليليو ،أول عالم تجريبي في العصر الحديث جعل الملاحظة جعل الملاحظة والتجربـــة مـــن بـــين القواعد الأساسية للمنهج العلمي [2]ليأتي **جون ستوارت مل *(1806-1872)*** في القـــرن التاسع عشر الذي كان متطرفا في تجريبيته حتى بلغ إيمانه بالاستقراء مبلغا لم يبلغه أحد من قبله ،ولا من بعده ، فالاستقراء عنده الطريق الوحيد الذي لا طريق سواه ، ليس فقط للمعرفة العلمية ،بل أيضا لكل و أي معرفة صحيحة وحقيقة ،وباختصار كـــل مكونـــات الذهن ومحتوياته مجرد تعميمات استقرائية لا يستثني من ذلك شيء البتة حتـــى قـــوانين الرياضة (2+2=4)،وقوانين الفكر الصورية (أ هو أ) فلم يكن الاستقراء عنده منهجا للعلم بل منطقا الحقيقة [3] ،ليكون رأيه من رأي بيكون فوافقه على انتقاداته للمنطق الأرســـطي

[1] محمود فهمي زيدان ، الاستقراء والمنهج العلمي ، مرجع سابق ،ص.28

[2] المرجع نفسه ،ص59.

[3] يمنى طريف الخولي ، فلسفة العلوم في القرن العشرين ، مرجع سابق ، ص138.

وعدم جدواه في المعرفة العلمية لعقم نتيجته ، ليؤكد أن المقدمات الكلية نصل إليها عن طريق الاستقراء ، فيكون بذلك الاستقراء سابق القياس وتابع له [1]

أما عن الخطوات التجريبية التي وضعها **مل** فتتمثل في : مرحلة الملاحظة ،التجربة ثم مرحلة تكوين الفروض التي يعتقد أنها تفسر الملاحظات والتجربة ،وأخيرا تحقيق الفروض تحقيقا تجريبيا فان أيدتها الوقائع التجريبية في الحاضر والمستقبل القريب كان الفرض ناجحا أو صادقا واتخذ صورة القانون العام ،وذلك بهدف صياغة قوانين عامة، فالعلم الطبيعي يسير وفق أساسين هما مبدأ اطراد الظواهر في الطبيعة ومبدأ العلية [2] ليعمل على تطوير هذا المنهج من خلال قواعد الاستقراء التي درس فيها العلاقة بين العلة والمعلول والمتمثلة في طريقة التلازم في الحضور والغياب والتغير النسبي وطريقة البواقي ، رافضا بذلك المناهج الصورية والفلسفات الميتافيزيقية ، حيث وضع هذه القواعد ليلزم بها الباحث إلزاما ،إن لم نقل يلزم بها البشرية بأسرها ،ما دام الاستقراء أسلوب المعرفة والتفكير المثمر الوحيد أما **دافيد هيوم: (1711-1776) David Hume** الفيلسوف والاقتصادي والمؤرخ الاسكتلندي الذي تأثر جدا بالتجريبيين أمثال:**جون لوك** و **جورج بركلي** وبكتاب **فرنسيين بيكون** (الأرغانون الجديد) وبمفكري الانجليز والاسكتلنديين أمثال:إسحاق نيوتن، وساميل كلارك و فرانسس هتشون،وأدم سميث وجوزف بتلر، فان موقفه من الاستقراء يتحدد من خلال مبدأ الاستقراء (العلية)، فقبل **هيوم** كانت تفترض أن العلية (التي تعني الارتباط الضروري بين العلة والمعلول) مدرك بديهي عقلي بقوة الحدس العقلي ، ومن ثمة تضمن للاستقراء منطلقه الأساسي ، أما هيوم فقد أنكر وجود أي ارتباط ضروري بين العلة والمعلول [3] فالعلم من هذا المنطق يؤمن و يقوم

---

[1]- محمود فهمي ،الإستقراء والمنهج العلمي ، مرجع سابق، ص 73.

-إبراهيم مصطفى إبراهيم ، منطق الإستقراء ، المنطق الحديث، الناشر المعارف بالإسكندرية مصر ، د ط، د ت، [2]ص104،103.

[3]-عمار أبو رغيف ، منطق الاستقراء ، مكتبة مؤمن قريش ، د ط، دت، ص 58.

على مجموعة من المبادئ العقلية(الفطرية) التي لا يمكننا أن نخضعها لمنطق الاختبار و التحقق والتي تتمثل في : مبدأ الافتراض ، السببية أو العلية والحتمية إلى جانب التعميم ، والعلية العقلية تقوم على قضيتين رئيسيتين :

أ- إن لكل حادثة سبب يحدثها

ب-إن الشيء ما لم يجب لم يوجد.

فالقضية الأولى : تقرر ضرورة وجرد سبب لكل حادثة.

أما القضية الثانية :أن الحادثة يستحيل وجودها دون سبب .دون أن يكون بينهـــا وبـــين السبب علاقة ضرورية [1] ولقد انصب هجوم التجريبيين (هيوم) حول هذين القضيتين:

فالعلية كعلاقة موضوعية بين لونين من الأحداث لا سبيل لها حدسا أو تجربـــة ،و إنمـــا يمكن اكتشاف هذه العلاقة الضرورية في ضوء قانون تداعي المعاني والعادة الذهنية التي تهيؤ الذهن للإيمان بفكرة الضرورة [2]وعلى هذا الأســـاس فـــإن الإســـتقراء لـــه مبـــرر سيكولوجي لا واقعي فهو مجرد مألوف وعادة يتحكم فيها التكرار فتمدد الحديد بـــالحرارة مثلا جعلنا نعتقد أن سبب التمدد هو الحرارة نتيجة للتكرار ، بالإضافة إلى ذلك فانه ليس لدينا ضمانة تجريبية تجعلنا نؤمن أن تمدد الحرارة كقانون سيقع في المستقبل ، أما مبدأ العلية العقلية التي تتضمن مفهوم الضرورة التي لا يمكن التأكد مها تجريبيا ، فهي علاقة مدركة إدراكا عقليا خالصا دون أن يكون لها سند حسي[3] أن **كارل بوبر** الذي لم يكن يرى فيه المنهج المناسب للوصول إلى الحقائق العلمية.

ج- في الفكر الفلسفي المعاصر:

إن السمة البارزة في الفكر الفلسفي العاصر هو أنه قد اتسم بالتعدد والتنوع والتشـــتت والانقسام ، فلا نجد شخصية بارزة نستطيع القول عنها بحق أنها استطاعت تحديد ملامح

[1]- عمار أبو رغيف ، منطق الاستقراء ، مرجع سابق ،ص303.

[2] مرجع نفسه ،ص 59.

[3] - مرجع نفسه ،ص304.

الفلسفة المعاصرة ،بل هناك العديد من التيارات الفلسفية (الوضعية المنطقية ، التحليلية ،الواقعية المحدثة ،المثالية الحديدة، البراغماتية ، الاتجاه الحيوي ، فلسفة الظواهر ، الوجودية ...الخ [1]وربما كان من العسير أن لم نقل من المستحيل أن نحدد في الوقت الحاضر شتى التيارات الفلسفية المعاصرة ، أو أن نحصر على وجه الدقة كافة الاتجاهات الفكرية السائدة في القرن العشرين [2] ولقد كان الشغل الشاغل لهذه الفلسفات هو إيجاد منهج علمي أو فلسفي يقدم لنا إجابة عن مختلف المشكلات و القضايا الفلسفية ، ومادام هناك تعدد في التجارب الفلسفية فانه لا يوجد اتفاق حول المنهج ، و حتي إن وجد فهو نسبي وليس مطلق ، ولعل أهم من بين أهم المناهج إلى جانب الوضعية المنطقية على سبيل المثال لا الحصر:

- **الفلسفة التحليلية والمنهج التحليلي:**

احتلت الفلسفة التحليلية مساحة واسعة من التفكير الفلسفي المعاصر ،فهي امتداد واسع ومتنوع في الفلسفة المعاصرة بوجه عام ، وقامت هذه الفلسفة بوجه عام يمثله مجموعة من الفلاسفة ،يتفقون على أن مهمة الفلسفة تحليل اللغة كأساس للوصول الى المعرفة العلمية [3]، والتحليل هو تبسيط العام الى الخاص

والفلسفة التحليلية نمطان من أنماط النزعة التجريبية المعاصرة :

تجريبية أكسفورد: التي قامت على تحليل اللغة العادية ، بزعامة **مور** الذي كان يفحص أراء غيره من الفلاسفة ، لكي يرى ما قد تعنيه تلك الآراء ، وما إذا كانت صادقة أم كاذبة فيقصر مهمة التحليل على المعنى [4].

---

[1] – إبراهيم زكريا إبراهيم ،دراسات في الفلسفة المعاصرة ، دار مصر للطباعة ، مصر، د ط، د ت ،مرجع سابق،ص 8.

[2] – إبراهيم زكريا إبراهيم ،دراسات في الفلسفة المعاصرة ،مرجع سابق،ص 10.

[3] المرجع نفسه .ص11.

[4] –المرجع نفسه، ص 182.

الوضعية المنطقية الجديدة : التي اهتمت بتحليل اللغة العلمية من خلال تحليل القضايا ،

- **الفلسفة الظواهرية المنهج الفينومينولوجي:**

تمثل الفلسفة الفينومينولوجية أو الظاهرية التيار الفلسفي الكبير الذي أدي إلى قطع الصلة والانفصال عن الفكر السائد فق القرن التاسع عشر في الحضارة الغربية ، وهو أهم تلك الحركات التي أسسها **إدموندهوسرل (1850_1932)**، ، وينبغي أن نبرز سمتين أساسيتين من سمات الفينومينولوجيا ، فهي منهج في المحل الأول ينحصر في وصف الظاهر أي ماهو معطى مباشرة ، ومن هذه الجهة فإن الفينومينولوجيا باعتبارها منهجا تغض النظر عن العلوم الطبيعية ، أي لا تنتبه إلى نتائجها ،وبالتالي تتعارض مع المذهب التجريبي [1]

فالمنهج الفينومينولوجي ليس منهجا استنباطيا ، كما أنه ليس بمنهج تجريبي ، وإنما ينحصر أولا وبالذات في الكشف عما هو معطى ، وإلقاء الأضواء على هذا المعطى ، ينظر مباشرة إلى ما هو في متناول الوعي ، ألا وهو الموضوع ، ومعنى هذا أنه يستهدف الموضوعي ويكشف عما اصطلحنا تسميته الظاهرة [2] حيث ذهب **هوسرل** إلى أن الشعور هو دائما الشعور بشيء ، وعلى هذا الأساس فقد رفض فكرة الكوجيتو التي فصلت بين الذات و الموضوع ، ليجعل الشعور هو الأداة التي تربط بين الذات المفكرة والموضوع المدرك، حيث نجد **هوسرل** يؤكد أن الشعور لا يستحوذ على التصورات العقلية لكي يحيلها إلى موضوعات ، بل ينعطف نحو الأشياء من أجل معرفتها .بمقتضى ما لديه من حركة قصدية فالظواهرية تتعلق بالوصف وليس بالتفسير العلمي أو التحليل المنطقي ، فهي علم نفس وصفي ، يهتم بوصف ما هو ظاهر.

[1]– بوخنسكي ، الفلسفة المعاصرة في أوروبا ، تر :عزت قرني ، عالم المعارف ،الكويت ، د ط، دت،ص178.

[2]ابراهيم زكريا إبراهيم ، دراسات في الفلسفة المعاصرة ، مرجع سابق ، ص327.

المبحث الثاني : نسبية المعرفة العلمية

إن فكرة اللامنهج عند **فيرابند** ونقده لكافة الميتودولوجيات جعلته يتجه نحو النسبانية المعرفية (النسبية) التي من خلالها تجاوز فكرة المطلقية و العقلانية .مما أدى إلى تهافت كل التصورات التي ارتبطت بهذا النسق .

فما هي النسبية ؟ وكيف ارتبطت بالمعرفة العلمية عند فيرابند ؟

1-النسبية :

جاء في المعجم الفلسفي **لجميل صليبا** أن كلمة نسبي لها وجهان ، وجهها العام ،هو المقيد بغيره المرتبط به ، ووجهها الخاص ما ينسب إلى غيره ، ولا يتعين إلا مقرونا به ، ويقابل المطلق والنسبية صفة لكل ما هو نسبي أو إضافي ، ويقال نسبية المعرفة وهي التي تنصب على علاقة شيء بأخر أو على علاقته بالذات العارفة .

ومذهب النسبية (relativisme) يرى أن المعارف والقيم الإنسانية ليست مطلقة، بل تختلف باختلاف الظروف والاعتبارات [1]

والنسبية(relativité) مشتقة من اللفظ اللاتيني (relativus) نسبي ،وبوجه عام هو اتجاه في نظرية المعرفة ينفي إمكانية معرفة العلم الموضوعي استنادا إلى ذاتية المعرفة البشرية ونسبتها ، وتنطلق النسبية من أنه ليس بوسع الإنسان في هذه أو تلك من مراحل تطوره أن يحصل معرفة تامة وصحيحة ومطلقة ،لا عن الواقع ككل ،ولا عن موضوع ملموس من موضوعات البحث ،وأنه في كل فترة زمنية لا تكون معارفنا كاملة ،وإنما تكون محدودة بمستوى تطور الإنتاج والعلم وبقدرات الناس المعرفية [2]

أما "**أندري لالاند**" :فان كلمة نسبي (relatif) هو كل ما يتعارض مع المطلق ويشكل العلاقة بين حدين أو عدة حدود ،يجري تصور كل منها ظرفيا ، ويقال نسبي بنحو خاص

[1] جميل صليبا ، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية ، الشركة العالمية للنشر، بيروت ،لبنان ، ج 2،1979، ص 180.

[2] مصطفى إبراهيم ، في فلسفة العلوم ،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ،مصر، ط1 ،2000 ، ص 149

على ما لا يكون مقاسا بقياس مطلق ، بل تبعا لحد أخر ، وفي غياب هذا الحد يكون المطلوب لا معقولا مستحيلا ، أو غير صحيح ، والنسبي هو ما يكتفي بنفسه ، مالا يكون مطلقا ، ما لا يمكن إقراره دون حصر و تقييد [1]وعليه فالنسبية جاءت رافضة لكل ما هو كلي وموضوعي ، حيث عبرت عن ذلك صراحة تلك العبارة التي اقتبست من كتيب دعاية يروج لمؤتمر عقد في أكتوبر عام 1989في كلية **جوستاف وسأدولفوس** ،التي استهلت الإعلان عن المؤتمر على النحو التالي : حين ندرس عالمنا اليوم ينتابنا شعور مقلق بأننا وصلنا إلى نهاية العلم ، أن العلم بوصفه مشروعا موحدا وكليا ، وموضوعيا ،قد انتهي ، لقد بدأنا نعتبر العلم مشروعا أكثر ذاتية ونسبوية ، يمارس بمقتضى مواقف اجتماعية وإيديولوجيات بعينها [2] وبهذا أصبح العلم نموذجا معرفيا متغيرا ضمن مقولتي الزمان والمكان وبالتالي كانت النسبوية توجه إيديولوجي يرفض فكرة المطلقية والثبات .

2- مسارها التاريخي

إذا كان من بين أهم المصطلحات التي قامت وتأسست عليها ابستيمولوجيا فيرابند مصطلح النسبية ،فان هذا يدفعنا إلى الحديث عن مسار وتطور هذا التصوروالمفهوم في تاريخ الفكر الفلسفي والابستيمولوجي، وكيف تبلور بشكل واضح في فلسفته ،وما المفهوم الجديد الذي أضافه ؟

أ – في الفكر الفلسفي القديم:

إن فكرة النسبية ترتد في الفلسفة القديمة إلى الشك (doubt)، والارتياب الذي يعني عدم اليقين العقلي أو هو التردد بين نقيضين لا يرجح العقل أحدهما على الآخر،ويرجع

[1] – أندري لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية ،تر أحمد خليل أحمد ،ج2 ،منشورات عويدات ،بيروت ،لبنان،ط1،2001 ، ص 1197.

[2] – لاري لودان ، العلم و النسبوية مسائل خلافية أساسية في فلسفة العلم ، تر:نجيب الحصادي و محمد أحمد محمد السيد، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ،ط1، 2015،ص 13.

تردد العقل إلى عجزه عن الإثبات أو النفي [1] حيث أن الإرهاصات الأولى للنسبية ظهرت ترجع إلى:

النزعة السوفسطائية:

وهي نزعة ظهرت في الفكر اليوناني مابين القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد بسبب تضارب المذاهب حول تحديد حقيقة الوجود ، إذا كانت الحقيقة تتجلى في الثبات عند "**برمنيدس**" وفي الصيرورة والكثرة عند "**هيرقليطس**" ، وفي الذرات ذات الحركة الذاتية الأزلية عند "**ديمقريطس** " ، وفي العقل كعلة محركة قائمة بذاتها عند " **أنكساجوراس** "، هذه التناقضات وغيرها هي التي أثارت الشك عند رواد هذه النزعة على بناء موقف معاد لكل معرفة يعتقد أصحابها أنها يقينية [2]والسوفسطائيون هم المعلمون بالأجر ،فهم فعلا أول من حدد أجرا لدروسهم ،وقد كان عظماء السوفسطائيون لا يدرسون في العادة إلا الأثرياء القادرين ، لكن الجيل التالي عليهم بدأ يوسع من جمهوره أكثر فأكثر راضين بمبالغ أقل وأقل واسم **السوفسطائي** كان معروفا قبل عصرهم بوقت طويل وكان يعني الرجل الحكيم الذي أثبت أمام الجمهور باعه في الأمور العقلية وهكذا كان "سولون" و"فيثاغورس" يلقبان بهذا الاسم [3]ولعل أشهر فلاسفة هذه النزعة "بروتاغوراس"، "جورجياس" ، "هيباس"، "بروديقوس"،و"أنطيفون"(وهو أحد السوفطائيين الصغار، والوحيد الذي أنجبته مدينة أثينا) ، ويمكننا أن نلتمس هذا التصور بفلسفة "**بروتاغوراس** " **(490- 421)**، فقد صاغ هذا الأخير المبدأ النسبي عندما أعلن :"**أن الإنسان مقياس كل شيء** " ، أي أنه ما من شيء

---

[1] – كميل الحاج،الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي،عربي انجليزي ، مكتبة لبنان،بيروت ،ط1،2000، ص 314.

[2] – زيتوني الشريف ، مشروعية الميتافزيقية من الناحية المنطقية ، تصدير محمود اليعقوبي ، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر ، دط 2006، ص 110.

[3] – عزت قرني ، الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون ، تنفيذ وإخراج وطبع ذات السلاسل ،الكويت ،د ط، 1993، ص85.

هو حقيقي [1] فالإنسان هو مقياس الأشياء جميعا ما يوجد منها وما لا يوجد ، معنى ذلك أن الإنسان هو الذي يحكم على الأشياء الموجودة بأنها موجودة ، وعلى غير الموجودة بأنها ليس موجود ، بذلك تصبح المعرفة بالنسبة لي هي ما تبدو لي ،وبالنسبة لك هي على ما تبدو لك ، وبذلك تتعدد المعارف ، فلا توجد حقيقة واحدة مطلقة يتفق عليها كل البشر ،بل تصبح نسبية فردية متغيرة تختلف من فرد إلى آخر[2]ذلك أن الحقيقة مرتبطة بالحواس – وهي سبيلنا إلى المعرفة –متغيرة أبدا لا تثبت على حال واحدة، ثم هي تختلف باختلاف الأفراد ،كما تتأثر بالمحسوسات التي هي أيضا في تغير دائم، فتجيء أحكامنا على الشيء الواحد متباينة بتباين أحوال الزمان والمكان والصحة والمرض والثقافات العقلية والاجتماعية ،بل ربما تعارضت هذه الأحكام وتقابلت، و إذا تقرر هذا فعبثا للوصول إلى حقيقة ثابتة [3]وبالتالي فقد ربطت النزعة السوفسطائية الفكر و الحقيقة بالوجود الفردي (الذاتي)أو الطبيعة الإنسانية كوجود نوعي بمختلف أبعادها : العقلية ،النفسية ،الاجتماعية ،الزمانية ،المكانية و كذلك الصحية ، والذي من خلاله ألغت فكرة الخطأ ، وجعلت الصواب يمثل الحقيقة النسبية المتغيرة .فلا توجد حقيقة موضوعية ولا توجد حقيقة مستقلة عن الذات الفردية ،وما يبدو للفرد على أنه حقيقي فهو حقيقي بالنسبة لهذا الفرد ،وهكذا فان الحقيقة متطابقة مع الانطباعات الذاتية .

الشكاك : (فورون)

❖ معنى الشك : في اللغة الفرنسية :Doute

في اللغة الانجليزية : Doubt

وهو مشتق من اللفظ اللاتيني شك :Dubitare

[1] – كميل الحاج ،الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، مرجع سابق ، ص 560.

[1] – حربي عباس عطيتو ، ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1992 ، ص، 178،179.

[3] – محمد عبد الرحمان مرحبا ، مع الفلسفة اليونانية ،منشورات عويدات ، بيروت ،باريس ،ط3،1988، ص90.

والشك هو التردد بين نقيضين لا يرجح العقل أحدهما على الآخر، وذلك لوجود أمارات متساوية في الحكمين ،أو لعدم وجود أية أمارة فيهما ،ويرجع تردد العقل بين الحكمين إلى عجزه عن معاناة التحليل أو إلى قناعته بالجهل ،لذلك قيل : إن الشك ضرب من الجهل ، ولا عكس، وقيل الشك ما استوى طرفاه ،وهو الوقوف بين الشيئين لا يميل القلب إلى احدهما

والفرق بين الشك والريب أن الشك ما استوى فيه اعتقادان أو لم يستويا ، ولكن لم ينته أحدهما إلى درجة الظهور ، على حين أن الريب ما لم يبلغ درجة اليقين وان ظهر ، يقال شك مريب ، فالشك إذن مبدأ الريب ، كما أن العلم مبدأ اليقين[1] وبالتالي فالشك يحمل الترجيح والاحتمال وتعليق الحكم وهو نقيض اليقين ،والشك في الفلسفة شكلين:

أ- **شك مذهبي (مطلق ، هدام)** : وهو الشك الذي مارسته المدرسة الشكية في الفلسفة بزعامة فورون (360-270ق م) ،

ب- **شك منهجي** : والذي كان حاضرا في مدرستين أساسيتين (فلسفة ديكارت في العصر الحديث ،وفكر أبو حامد الغزالي في الفكر الإسلامي) في مسالة البحث عن الحقيقة والمعرفة اليقينية ، أما الفلسفة الشكية كما ورد إلينا عن طريق "تيمون " تدور حول مسائل ثلاث .

المسألة الأولى:مسالة طبيعة الأشياء في ذاتها من حيث إمكانية معرفتها.

المسألة الثانية : الموقف الذي يجب أن يقفه الحكيم إزاء طبيعة المعرفة التي لدينا عن طبيعة الأشياء .

المسألة الثالثة :الموقف العملي الذي يستخلصه الإنسان من هذا الموقف الفكري .

---

[1]- جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية ،دار الكتاب اللبناني ، الجزء الثاني من ط الى ي بيروت لبنان د ط 1979 ،ص 705.

أما فيما يتصل بمسالة طبيعة الأشياء في ذاتها من حيث إمكانية معرفتها فإننا نجد فيرون ومدرسته ينكرون أن يكون للمعرفة الحسية أو العقلية أدنى قيمة في إيصالنا لمعرفة حقيقة أو حقائق الأشياء فسواء النظر العقلي أو الإدراك الحسي لا يستطيع احدهما إلا أن يخدعنا دائما فنحن لا ندرك الأشياء في الواقع إلى ما يبدو لنا و كأنه كل شيء في الخارج هو ما يبدو للذات المدركة مظهر فحسب ، أما طبيعة الشيء في ذاته فلا سبيل إلى الوصول إلى معرفة كنهها[1]

وإذا كان تاريخ الفلسفة يعرض عليتا مذاهب في الشك مختلفة المدى والدرجات ،فان مذاهب الشك يمكن تصنيف شكهم إلى أربعة أنواع :

- **الشك الخلقي :** والذي عرف به فورون(والذي ورد اسمه على لسان تيمون حتى أصبحنا لا نفرق بينهما)، فقد أنكر الحقيقة وذهب إلى أنه لكي يصل الإنسان إلى الحياة السعيدة يجب عليه أن يرفض إمكان المعرفة ، وبهذا يصل إلى الطمأنينة السلبية التي ينشدها ، فقد عانى الشك المطلق ، وكان شعاره : " **لا أعرف أن كان هناك صوابا أو خطأ** ".
- **شك الاحتمال :** الذي عرف به أرقاسيلاس (316-241ق م) ،قرنيادس (214-128ق م) التي كانت تدعو الى الاحتمالات في كل شئ، فيكون في نظرها كل شيء محتملا وممكنا ولا دليل يجبرنا بأن هذا صواب و بأن غيره خطأ.
- **شك المظاهر :** عرف به أناسيداموس (بداية القرن الأول ونهايته قبل الميلاد) فهو لا ينكر المظاهر التي تفرض نفسها على الشعور ، إلا أنه يشك في ما عدا ذلك ، ويمتنع عن الحكم على حقيقة الأشياء مثال: اذا كنت أحس بالبرد ولا

[1] عبد الرحمان بدوي ،خلاصة الفكر الأوروبي ، خريف الفكر اليوناني ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط4 ،1970 ، ص 81.

يمكنني أن أشك في ذلك ، فإنني لا اعرف ان كان الجو باردا بالفعل في حقيقة الأمر أو ليس الأمر كذلك .

❖ **شك التجربة :** عرف به سكستوس (القرن الثاني او الثالث بعد الميلاد) الذي شك في صلاحية العقل في الوصول إلى المعرفة ،واعتمد على التجربة ، الذي كانت أراؤه نواة لظهور المذهب الوضعي (هيوم ،كونت)[1] وبهذا فان الشك في شقه الهدام قد زعزع فكرة الموضوعية ، والحقيقة اليقينية، وكذلك المطلقية ، وذلك من خـــلال الشك في آلياتها ووسائلها ، الذي يفرض فكرة الإلزام المنهجي . حيث تعتبر هـــذه الأفكار هي المطلق الأساسي لفلسفة فيرابند الفوضوية.

ب- في العصور الوسطى

أما فكرة الشك في العصور الوسطى نجدها حاضـــرة فـــي فلســـفة القـــديس **أوغسطين(354-430)AureliusAugustinus** ،لاهوتي وفيلسوف مسيحي وأحد كبار أباء الكنيسة [2] الذي أكد أن البحث يحتاج إلى منهج نسلكه لبلوغ اليقين ، وان هذا الدرب يتمثل في الشك ،[3]يقول أوغسطين :"إن الناس مختلفون في الحياة والتذكر والعلم والإرادة و الحكم لان حقيقة الذات هي الشك ، فذا الأخير هو أساس معرفة الذات الباطنية والحقائق الخاصة بها ، وقد فرق أوغسطين بين عالم الحس وعـــالم العقل

ت- في الفكر الإسلامي:

يعد أبو حامد الغزالي (1059-1111) من أهم المفكرين الإسلاميين الذي تنـــاول فكـــرة الشك ، واعتبره طريقا في البحث عن الحقيقة ، وفي إقناع خصمه ، حيث قال عنه : " إذ الشكوك هي الموصلة إلى الحق ، فمن لم يشك لم ينظر ،ومن لم ينظر لم يبصر ، ومن لم

[1] – محمود يعقوبي ، خلاصة الميتافزياء ، دار الكتاب الحديث ، الجزائر ، دط ،2002،ص 71،72،73.

[2]– عبد الرحمان بدوي ، موسوعة الفلسفة ، مرجع سابق ،ص234.

[3] بدوي عبد الرحمان، فلسفة العصور الوسطى ، دار القلم ،بيروت ،لبنان ، ط3، 1979، ص23.

يبصر بقي في العماء والضلال "[1] فاتخذ بذلك الشك منهجا وطريقا للوصـــول اليقـــين ، الذي كان نتيجة لتعدد الرؤى والمواقف ،وهذا ما عبر عنه في رسالته (المنقذ من الضلال) التي بين فيها كثرة اختلاف الناس في الأديان والملل والمذاهب الفكرية ، وتشـــعب ســـبل (مناهج) الوصول فيها إلى استخلاص الحق ،يقول :"وأحكي لك ما قاسته في اســـتخلاص الحق من بين الفرق ،مع تباين المسالك والطرق "

وكتابه تهافت الفلاسفة الذي أراد فيه أن يبرز تناقض بعض الفلاســـفة فـــي أدلـــتهم وقصورهم عن إقامة الأدلة المقنعة على صحة ما يزعمونه من الآراء ،وبهذا اتسم فكره الطابع النقدي ، لكن من رؤية دينية ، و ينطلق في منهجه النقدي من فكـــرة مفادهـــا أن الفكر الإنساني يتميز بالاختلاف و التباين ، الذي يتحكم فيه الموروث الاجتماعي باعتبار أن الإنسان وليد مجتمعه ، ولا يستطيع الاستغناء عما ألفه في مجـــالات الـــدين ، الفكـــر والسلوك

وبهذا فان الفوضوية الفكرية في عصره قد كانت منطلق او مبدأ أساسيا لبناء مشروعه الفلسفي الذي انتهى به إلى التصوف .

ج–في الفكر الفلسفي الحديث

فنجد فكرة الشك قد تجسدت بوضوح في العديد من الاتجاهات الفلسفية ، ولعل أهمها :

- **النزعة العقلية: (ديكارت نموذجا)**

يسمى الشك الديكارتي بالشك المنهجي ، شك يمثل بداية المسار نحو اليقين في المعرفة ، وهو على النقيض من شك الشكاك ،لأن غاية الشك عنده إفســـاح المجـــال أمـــام العقـــل الإنساني لينطلق في استدلالاته وبناءاته النظرية بغية الوصول إلى الحقيقة ،وكان الشـــك عنده:

[1] محمود يعقوبى ، مرجع نفسه ،ص91.

– شك ديكارت بداية في العلوم التي تعلما في صغره حيث يقول في كتابه تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى :"تبين لي ، منذ حين ، إنني تلقيت –اذ كنت ناعم الأظافر – طائفة من الآراء الخاطئة ، ظننتها صحيحة ،ثم وضح لي أن ما نبنيه بعد ذلك على مبادئ ،تلك حالها من الاضطراب ،لا يمكن إلا يشك فيه كثيرا ويرتاب منه[1]

– شك المعرفة التي تأتيه عن طريق الحواس لأنها غير يقينية ، يقول "جربت الحواس في كثير من الأحيان وجدتها تخدع "

–شك في المعرفة التي تأتي عن طريق العقل ،فقد نخطئ في استدلالاتنا وإحكامنا .

لكن في زحمة هذا الشك أبقى على الشك كحقيقة يقينية ، والتي كانت بداية لإثبات الأنا المفكرة (أنا أفكر إذن أنا موجود)[2] حيث يقول :" أي شيء أنا ؟ أنا شيء يفكر ، وما الشيء الذي يفكر ؟ هو شيء يشك ،ويدرك ، ويتذهن ، ويثبت ،وينفي ، ويرفض ،ويتخيل أيضا ...بديهي أنني أنا هو الكائن الذي يشك ،و أنا الكائن الذي يدرك . "[3] فكان الشك عند ديكارت منهجا ودربا أثبت من خلاله الطبيعة العاقلة للإنسان ، تلك الطبيعة والوجود المفكر ، ليصل من خلاله إلى تلك الثنائية (الجسم والروح).

النزعة التجريبية

يعد دافيد هيوم أول من أثار الشك في المنطق التقليدي الاستقرائي من خلال ما يعرف بمشكلة الاستقراء التي تمحورت حول فكرة السببية أو العلية ،كما اشرنا سابقا في عنصر تاريخية المنهج ، حيث يمكننا أن نختزل هذه المشكلة في التساؤلات التي طرحها زكي نجيب محمود في كتابه (المنطق الوضعي) إذ يقول: " هل يجوز لنا الحكم بصحة الاستدلال من حوادث الماضي على حوادث المستقبل ، دون الرجوع إلى أي مبدأ عقلي قبلي كمبدأ الاستقراء ...أعني ،هل يمكن أن نعتمد في إحكامنا الاستقرائية على التجربة

–روني ديكارت ،تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى ، تر: كميل الحاج ، منشورات عويدات بيروت

[1]،باريس ، ط1، 1961، ص 47.

[2]المرجع نفسه ، ص76.

الحسية وحدها ،دون الرجوع إلى أي مبدأ لا تكون التجربة الحسية مصدره ؟"[1] فالمعرفة التي تقوم على فكرة المألوف والعادة لا يمكن اعتبارها معرفة علمية لأنها قد تكون خاطئة ،لأنها معرضة للشك .

د-في الفكر الفلسفي المعاصر :

لقد كانت للثورات العلمية الكبرى التي عرفه الفكر البشري دورا هاما في أحداث انقلاب فكر على الساحة العلمية ،وذلك من خلال احدث تغيير على مختلف الأسس والتصورات التي قام عليها ، التي كان لها دور في تشكل المشروع الفوضوي عند فيرابند ،ولعل أهم هذه الثورات (الثورة الفيزيائية)، ففي فاتحة القرن العشرين وبالتحديد في جلسة الجمعية ،التابعة لأكاديمية العلوم في برلين أعلن ماركس فرض الكوانتم العبقري ،ولحقت به **نظرية النسبية** بعد خمس سنوات ، هذه هي البداية الحاسمة التي تجعل القرن العشرين ،متميزا كوحدة فريدة ونقطة تحول في مسار العلم [2] حيث أصبحت هذه النظرية فاصل بين مرحلتين متناقضتين فى العلم :

المرحلة الفيزياء الكلاسيكية :التي نشأت مع غاليليو و نيوتن التي اعتمدت على مفاهيم استوحت فى غالب الأحيان من الحدس الحسي والقياس لبشري العادي ، وهي الفيزياء التي اهتمت بالعالم المتناهي في الكبر[3] .

المرحلة الفيزيائية المعاصرة : حيث انطلق اينشتاين (1879-1955)من تجربة ميكلسن ومورلي ومعادلة التحويل اللورنزي ،فصاغ سنة 1905 نظريته النسبية المقصورة ، ثم في عام 1915 النسبية المعممة أو العامة ، التي قلبت كل المفاهيم

[2]- زكي نجيب محمود ، المنطق الوضعي ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، ج2،ط4، 1966،ص 299

[2]-يمنى طريف الخولي ، فلسفة العلم في القرن العشرين ، مرجع سابق ،ص171.

[3]- محمد عابد الجابري ، مدخل إلى فلسفة العلوم ، مرجع سابق ،ص335.

الكلاسيكية :كمفهوم الزمان والمكان المطلق والحركة المطلقة وقوانين السرعة ...الخ[1] وأهم أساسين بنى عليهما اينشتاين نظريته العلمية:

أ- نسبية السرعة : فنسبية سرعة أي جسم تقاس إلى جسم أخر سواء اعتبرنا الجسم الأول هو المتحرك ، أو عكسنا الأمر (فكرة الذاتية).

ب-اختلاف الزمن(وتعرف أيضا بمشكلة التأني)التي دمج فيها بين الزمن والسرعة[2].

وبهذا كانت النسبية أهم المفاهيم التي تأسست عليها الفيزياء المعاصرة ، تقول يمنى طيف الخولى :"سرعان ما أثبتت سنوات القرن العشرين وعقوده ، كم كانت هذه الثورات مباركة ، الذي أحدثته في مسلمات العقل العلمي ومنظوره وآراؤه انقلابا ايجابيا ممثلا لمرحلة اعلي من تطور التفكير العلمي "[3]

3- المعرفة العلمية و نسبيتها عند فيرابند:

يؤمن معظم المفكرين والباحثين في مجال فلسفة العلم بل وحتى المثقف العادي والجمهور من عامة الناس أن النظريات العلمية تختلف اختلافا جوهريا عن النظريات اللاعلمية أو الزائفة علميا وعن كافة أنماط الضروب الفكرية الأخرى التي يمكن أن توسم باللاعلم أو غير العلم [4] وتاريخ فلسفة العلم منذ إرهاصاته الأولى ليس في معظمه إلا محاولات مستمرة لحل مشكلة التمييز بين هذين النمطين من المعرفة ، وذلك من خلال وضع معايير مناسبة للفصل بينهما ، وندلل على ذلك من خلال أعمال بيكون لرسم حدود المنهج العلمي ومحاولات هيوم الذي عمل على استبعاد الميتافزيقا ، مرورا بمحاولات

[1]- المرجع نفسه 343.

[2]-محمد عابد الجابري ، مدخل الى فلسفة العلوم ، مرجع سابق ، ص34.

[3]-يمنى طريف الخولي ،فلسفة العلم في القرن العشرين ، مرجع سابق ،ص374.

[4]محمد أحمد محمد السيد ، التمييز بين العلم واللاعلم ، مرجع سابق ،ص 11. -

أوجست كونت وأرنست ماخ ثم الوضعيين المنطقيين وكارل بوبر [1]حيث دعا فرانسيس بيكون كرائد من رواد المدرسة التجريبية الانجليزية في مؤلفه الشهير "الأورغانون الجديد" إلى الفصل بين اللاهوت والعلم ، وذلك من خلا ل الاستقراء ، الذي يقوم على لوحة الحضور التي تسجل فيها كل الأحوال التي تظهر فيها الطبيعة أو الظاهرة التي ندرسها ، ولوحة الغياب التي تسجل الأحوال التي لا توجد فيها الظاهرة ، ولوحة الدرجات فتسجل كل الأحوال التي فيها تتغير طبيعة ما كلما تحولت تغيرت طبيعة أخرى ، فتزيد كلما زادت وتنقص كلما نقصت [2] وبهذه النظرة العلمية كان من رواد حركة التنوير في القرن الثامن عشر التي أمنت بسلطة المعرفة العلمية التي تتأسس على رفض الأوهام والأفكار القبلية ، خاصة التي سادت في القرون الوسطى ، فكان له الدور الريادي والمؤثر حتى اعتبره نبيا لمنهج البحث العلمي الحديث يقول ريشنباخ "لقد كان بيكون هو الذي أدرك بوضوح الاستدلالات الاستقرائية في المنهج العلمي وله في تاريخ الفلسفة منزلة نبي الاستقراء "[3] في حين نجد أن غاستون باشلار أما الوضعية المنطقية فقد استبعدت الميتافزيقا من الحقل المعرفي العلمي باعتبار أن قضاياها زائفة لكن الرؤية والتصور الذي قدمه فيرابند يختلف اختلافا جوهريا لا عرضيا عما سبقه من ألأطروحات في فلسفة العلم ،فموقفه من المعرفة العلمية يتميز بطابع النسبية والفوضوية ، وهذه الأخيرة ليست سوى علاجا ممتازا لنظرية المعرفة العليلة ولفلسفة العلم على وجه العموم ، فنظرية المعرفة في رأيه مريض يحتاج العلاج ، وهذا العلاج يتمثل في الفوضوية المعرفية ... والفارق بين النسبية الفلسفية والفوضوية المعرفية بالقول أن الأولى هي القول بان كل التراث التقليدي أو النظريات الصادقة أو كاذبة بنسب متساوية أما الفوضوي فهو من يؤكد أمورا سخيفة

[1] مرجع نفسه ،ص3.

[2] عبد الرحمان بدوي ، موسوعة الفلسفة، مرجع سابق ،ص 397.

[3]– محمد أحدد محمد السيد ،التمييز بين العلم واللاعلم ، مرجع نفسه ، ص 18.

على أن يقود ذلك إلى صور جديدة من صور الحياة [1]لذلك تسعى مقاربته الواضحة للمعرفة ونظرية المعرفة أخذ الجانب الايجابي من التجربة ، فيأخذ من مصادر واسعة التنوع ويجادل بأنه لا توجد فكرة مهما كانت قديمة أو غربية لا يمكنها أن تساهم في معرفتنا [2]وبهذا فالعلم لا يختلف عن أشكال المعرفة الأخرى ، فالحكم على معرفة أنها ليست علمية هو مجرد حكم قائم على التقليد السائد والفحص السطحي ، ومن هذا المنطلق فان المعرفة العلمية يحكمها التعدد والاختلاف لا الوحدة و التشابه ،مما يؤدي إلى اختفاء المطلقية من قاموس العلم . وهو خطاب الفكر الفلسفي المعاصر التي تعرض حججا مقنعة في صالح نسبوية متطرفة في المعرفة بوجه عام والمعرفة العلمية بوجه خاص ،الذين قوضوا التصور التقليدي للمعرفة العلمية .[3]

وعلى هذا الأساس فان المعرفة العلمية تتميز بالنسبية والتغير ، وهذا ما يظهر تأثر **فيرابند** بفكرة النسبية ، كأحد مرتكزات العلم المعاصر ، ليساير تلك المفهمة المعاصرة في فلسفة العلوم.

المبحث الثالث : نقد جذري للابستمولوجيا القديمة :

إن فكرة النسبية والتعددية التي تجلت بوضوح في فلسفة **فيرابند** ، جعلت فلسفتة نقدية تحمل معنى الثورية على كل ما هو قديم من أجل تطور المعرفة خصوصا فكرة المنهج ،لأن الروح العلمية الفلسفية تفرض ذلك الموقف ، ذلك أن أهم ما يميز العالم قدرته على أن يختبر الآراء السائدة على المستوى الشعبي أو العادي أو في الأوساط العلمية ، أو كليهما معا بذهن ناقد لا ينقاد وراء سلطة الانتشار أو الشهرة ، ولا يقبل إلا ما يبدو له [4]

---

[1]بول فيرابند ، ثلاث محاورات في المعرفة ، مصدر سابق ، ص25.

بول فيرابند ،طغيان العلم ،تر: مركز دلائل ، مراجعة وتحقيق عبدالله الشهري ، مركز دلائل ، الرياض ، السعودية [2]،ط1، 1438ه، ص20.

[3]– لاري لودان ، العلم والنسبوية ، مرجع سابق ص12.

[4] – فؤاد زكريا ، التفكير العلمي ، مرجع سابق ،ص212.

وهذا المنطلق النقدي دفعنا إلى البحث والوقوف عند أهم محطات الموقف الإبستيمولوجي عند فيرابند ، لهذا نطرح التساؤلات التالية : ما موقفه من الوضعية المنطقية ؟ وفيلسوف العلم "**كارل بوبر**"؟

1- الوضعية المنطقية والعقلانية النقدية:

❖ **الوضعية المنطقية : (logicalpositivism)**

هي فلسفة علمية سعى إلى إقامتها ثلاثة علماء ،هم عالم الرياضيات "**هانزهان**" وعالم الاقتصاد "**أوتونوبراث**" ،وعالم الفيزياء "**فليب فرانك**" وكانوا متأثرين بعالم الفيزياء "**أرنست ماخ**"1838-1916(Ernest Mach)الذي كان يريد توحيد العلوم كلها في فلسفة علمية تشملها جميعا ، وفي عام 1922انضم إليهم "**موريتس شليك**" moritzschlick(1882-1936)وكان تخصصه في النظرية النسبية ،وفي عام 1926 انضم إليهم "**رودولف كارناب**"[1]وبهذا فهي اتجاه ظهر في الفلسفة في القرن العشرين على اثر انتشار النزعات التحليلية في مضمار التفكير الرياضي والمنطقي ،حركة وضعية كانت امتداد لتجريبية **هيوم** ، **وجون ستوارت مل** ،كما كانت في الوقت نفسه صدى للاهتمام بالمنهج العلمي على نحو ماعبر عنه **بوانكاريه** و**دوهم** و**اينشتاين** بل نتيجة ازدهار المنطق الرمزي على يد كل من **بيانو**،**وفريجه**، و**راسل** و**وايتهد**...الخ [2] ويرجع التجانس بين أعضاء هذه الجماعة وحيويتهم إلى وجود اهتمام مشترك وهو الاهتمام بالمنهج كمدخل أساسي ، لقد أرادوا هؤلاء أن يؤسسوا الفلسفة العلمية وينظروا الفلسفة عمليا عن طريق ممارسة التحليل المنطقي، ومحاولة توحيد العلوم جميعا .

وعرفت هذه الجماعة في الأوساط العلمية والفلسفية بدائرة فينا أو حلقة فينا وأطلق على الفلسفة التي يتبناها أعضاء هذه الحلقة مصطلح المذهب التجريبي وفي كتابات أخرى

[1] - كميل الحاج ، الموسوعة الميسر ة في الكر الفلسفي والاجتماعي ، مرجع سابق ، ص 670 .

[2] -ابراهيم زكريا إبراهيم ، دراسات في الفلسفة المعاصرة ،مرجع سابق ، ص 266 .

التجريبية المنطقية إلا أن المصطلح الذي لقي رواجا هو الوضعية المنطقية [1] وقد كانـــت فينا مستقرا مناسبا لهذه الحركة لعدة أسباب :

أ- ففي عام 1895 أنشئ في جامعة فينا كرسي لفلسفة العلوم الاستقرائية ليشغله "أرنست ماخ " الفيلسوف النمساوي الذي يمكن اعتباره الأب الروحي لهذه الحركة .

ب – كانت فينا تموج بجماعة المفكرين المناهضين للفلسفات التأملية نذكر منهم بولزانو ، برنتانو ، مارتي ، ماين ونجوهفلر ، كما انتشرت فيها أفكار **بوانكاريه ،و دوهم** الفرنسيين

ج- وفي عام 1910تجمعت في فينا طائفة من المفكرين الذين يؤمنون بأهمية العمل التي قام بها **أرنست ماخ** [2]

فالوضعية المنطقية فلسفة تكثفت فيها كل خطوط التجريبية المتطرفة ، وكانـــت في واقع الأمر أمينة لميراث القرن التاسع عشر كما تمثل في النزعة الاستقرائية ،وفـــاقوا الجميع في الافتتان بالنسق العلمي في حد ذاته ، فقصروا فلسفة العلم ،بل الفلسفة بأســـرها على محض التحليل المنطقي للعبارات والمفاهيم العلمية في أقوى وأعنف تكريس لمنطق تبرير المعرفة العلمية [3]وعلى هذا الأساس فهي فلسفة تقوم على رفض الميتافيزيقا علـــى أساس أنها قضايا فارغة المحتوي،ولا يمكن التحقق منها في الواقع ،وأســـاس الوضـــعية المنطقية تحليل اللغة ، سواء اللغة العادية ،أو اللغة العلمية أو اللغة الفلسفية ، حيث يزعم هؤلاء أن الخلافات بين الآراء والمذاهب الفلسفية يرجع إلى سوء فهم وتحليل التصورات الفلسفية ، فالخلافات الفلسفية ناتجة عن اشتراك المعاني والتصـــورات، لهـــذا اعتبـــروا المشاكل الميتافيزيقية والأخلاق علم الجمال مشاكل وهمية زائفة ، لأن عباراتها ليس لهـــا معنى .

[1] كارل بوبر، منطق الكشف العلمي ، تر: ماهر عبد القادر،دار النهضة العربية ،بيروت ،لبنان ، دط،1986، ص14.

[2]– فؤاد كامل ، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ، دار الجيل ،بيروت، لبنان ، ط1،1993، ص 83.

[3] –يمنى طريف الخولي ، فلسفة العلم في القرن العشرين ، مرجع سابق ، ص 380.

ففي عام 1929 أصدرت هذه الجماعة بيانا تحت عنوان "النظرية العلمية الشاملة للعالم عن فينا " قدم شرحا لموقف الجماعة الفلسفي ،ووجهة نظرهم التي تتعلق بفلسفة الرياضيات وبالعلوم الطبيعية والاجتماعية ،بغرض إيجاد حل لتلك المشكلات [1]حيث اهتم الوضعيون بقضيتين أساسيتين هما دور المنطق والرياضيات ،ومكانة قضايا ونظريات الفيزياء ، فالمنطق هو أداة الفلسفة والرياضيات هي أداة الفيزياء على حد تعبير راسل ، كما أن الفيزياء هي نموذج المعرفة الإنسانية الأسمى [2]فكانت الوضعية تعبيرا عن الرؤية العلمية للمعرفة الإنسانية في ضوء المنهج العلمي القائم على المبدأ الوضعي"**قابليةالاختبار**"، وهو المبدأ الذي سيدحضه فيرابند

2 –العقلانية النقدية (كارل بوبر)

كارل بوبر: (1902–1994) karlraimundpopper

باحث في فلسفة العلوم ،نمساوي ولد في فينا ، درس الفيزياء والرياضيات والفلسفة في جامعة فينا ، وصار أستاذا للمنطق في جامعة لندن 1945، واتجاهه قريب من أراء دائرة فينا (**شليك،كارناب**)، لكنه لم يكن عضوا في هذه الجماعة وبخلاف رأي هذه الجماعة لا ير في الاستقراء دليلا مفيدا لليقين ، وإنما المفيد لليقين هو التحقيق التجريبي للنظرات المستخلصة منها هي نفسها وهذا ما عرضه في كتاب منطق الكشف العلمي [3]

وقد كان ينتمي لأسرة عريقة معرفيا ، فوالده "**سيجموند كارل بوبر**"الحاصل على درجة الدكتوراه في القانون من جامعة فينا، عاش طفولة هادئة في بيت تحولت جميع غرفه وأبهائه إلى مكتبة ضخمة ، احتوت على كتب التاريخ والأعمال الفلسفية الكبرى (كتب

[1] – فؤاد كامل ، أعلام التفكير الفلسفي المعاصر ، مرجع السابق ، ص 84.

[2]– محمد أحمد محمد السيد ، التمييز بين العلم واللاعلم ، مرجع سابق ،ص70.

[3] – عبد الرحمان بدوي ، الموسوعة الفلسفية ، الجزء الثاني ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،دط،دت، ص369.

أفلاطون ، ديكارت ، سبينوزا، لوك، كانط ، شوبنهاور ، هارتمان ، أعمال داروين ، ماركس وانجلز ...) ، الأعمال الموسيقية ل بيتهوفن [1]

تتميز فلسفة بوبر بنظرة نقدية تمتد من مبحث المناهج ونظرية المعرفة التي يمكن أن نسميه بالفلسفات الاجتماعية ، رغم أن البعض يرى خطا تماثلا في الاتجاه العام لفكره والاتجاه الذي يرتبط في الأذهان بجامعة "فينا "إلا انه قد عرف بموقفه النقدي من مدرسة الوضعية التي اتصل بها منذ نشأته ، وهذا ما يظهر من خلال مؤلفه الشهير الذي صدر سنة 1934 (منطق الكشف العلمي) ، الذي يعتبر من أشهر كتبه على الإطلاق ، الذي حقق نجاحا وشهرة تخطت حدود فينا ،لتوجه له دعوات من أقطار أوروبا لإلقاء محاضرات ، خاصة في انجلترا حيث اشتمل على موقفه من المنهج العلمي ،والتأسيس لرؤية منهجية مختلفة من جهة أخرى.

انطلق كارل بوبر من نقد الوضعية المنطقية حتى لقبوه بالمعارض الرسمي ، وكان محور فلسفته مشكلة تمييز العلم في حركيته وتقدمه عن طريق معيار القابلية للتكذيب ،وكان بوبر بهذا رائدا شق الطريق الجديد لفلسفة العلم الذي سيؤدي إلى استيعاب الوعي التاريخي[2] فالتقدم العلمي لا يعرف تراكما البتة بل هو سلسلة متوالية من الثورات، ومادام كل تقدم يقوم على تكذيب الفرض السابق ،فهو إذن ثورة عليه و إنهاء لدورته وبدء دورة جديدة، وبهذا كان العلم عبارة عن ثورات علمية تأتي على أنقاض بعضها البعض .

ومن المعروف أن كارل بوبر قد نقد الاستقراء والنزعات الاستقرائية في أكثر من موضع وتلك علامة مميزة وهامة بالنسبة لموقفه الابستيمولوجي ، أما أعضاء فينا والوضعية المنطقية قد قبلوا الاستقراء وفي نفس الوقت قبلوا برهان **هيوم** على الاستحالة المنطقية

[1] – محمد محمد قاسم ، نظرية المعرفة في ضوء المنهج ، مرجع سابق ، ص 20.

[2] – يمنى طريف الخولي ، فلسفة العلم في القرن العشرين ، مرجع سابق،ص384.

للتعميمات الاستقرائية ، وكان نقده يتجه نحو مشكلة الاستقراء والأخطاء التي وقعت فيها النزعة الاستقرائية بوجه عام وما نتج عنها في نظرية المعرفة العلمية من قصور وعجز لنمو المعرفة والكشف العلمي معا[1] و هذه الانتقادات يمكن حصرها في أهم أساس قامت عليه هذه النزعة الوضعية :

- **معيار قابلية الاختبار:**

يرى كارل بوبر أن التحقيق الكامل لا يمكن الوصول إليه ، والمقصود بالتحقيق التأسيس النهائي للصدق ،فلا توجد قضية تركيبية قابلة للتحقيق أبدا حيث يمكننا تأييد القضية بدرج اكبر فقط ، حيث نجده قد اتفق مع **هيوم** ، فذهبوا انه لا يمكن تبرير الرأي القائل بصدق النظرية أو القضية الكلية انطلاقا من صدق عدد من قضايا الاختبار ،حيث يقول : من غير الواضح إطلاقا إن كان الصواب منطقيا أم لا ، استخلاص قضايا عامة من قضايا خاصة مهما بلغ عددها ،إذ يمكن أن يكون هذا التتبع مخطئا ...من المعروف أنه مهما بلغ عدد البجعات البيضاء التي رأيناها فانه لا يسمح لنا القول بأن كل البجع أبيض "[2]وبهذا فان كارل بوبر قد انتقل من منطق التبرير إلى منطق الكشف العلمي أي من منطق القابلية للتحقق والاختبار(وهو المبدأ الأساسي الذي قامت عليه الوضعية)إلى القابلية للتكذيب ، الذي يعني أن أي نظرية أو قانون أو فرض يكون قابلا للدحض ،طالما أنه هناك حالات قد تشذ عن التعميمات ،فالنظرية العلمية هي النظري القابلة للتكذيب[3]، وهذا ما جعله يحمل رؤية منهجية تختلف عن الوضعية المنطقية .

---

[1] كارل بوبر ، منطق الكشف العلمي ، تر: ماهر عبد القادر علي، دار النهضة العربية للنشر والطباعة ،بيروت ،لبنان ، ط1،1986،ص22،23.

[2] –كارل بوبر،منطق الكشف العلمي ، مرجع سابق ،ص64.

[3] – ماجدة مرسي جميل عزيز ، النظرية العلمية في الفكر المعاصر ،المكتب العلمي للنشر والتوزيع ، الإسكندرية ،مصر ،ط، 2001، ص 89.

ولقد استعرض هنري كسكوليموفسكي نقاط الاختلاف بين بوبر والوضعية المنطقيـــة من خلال تساؤلات واضحة ،ووضع الإجابة عليها من وجهة نظر الوضعية المنطقية :

ما الذي يجب علينا أن ندرسه لنفهم العلم ؟

الوضعية المنطقية : تركيب العلم كارل بوبر :نمو العلم

ماهي نقطة البداية في أبحاثنا؟ الوضعية المنطقية : الوقائع والملاحظة. كارل بوبر : المشكلات.**ماهي وحدتنا التصورية الرئسية ؟**الوضعية المنطقية :قضايا البروتوكول.

كارل بوبر : الفروض المؤقتة .**كيف نصل إلى النظريات العلمية ؟ وكيف يتم اكتســـاب المعرفة ؟**الوضعية المنطقية : الاستقراء.كارل بوبر: التخمينات والـــرفض ا و التخمـــين الجسور المتبوع بالنقد .**ماهي أسس المعرفة ؟وهل هناك معرفة لا يمكن الشك فيها؟**

الوضعية المنطقية : تتكون المعرفة من خلال الوقائع الأساسية المعطاة من خلال الخبـــرة المباشرة .بوبر : لا يوجد أساس ثابت للمعرفة ، فكل المعرفة مؤقتة.[1]

ليؤسس بعدها كارل بوبر منهجا جديدا للمعرفة العلمية ،من خلال ملاحظته منـــذ عـــام 1934 أن الثلاثية الجدلية الشهيرة (الفكرة ، النقيض، المركب) يمكن أن تنطبـــق علـــى منهج المحاولة والخطأ ،واستبعاد الخطأ (القابلية للتكذيب) وهنا اقترح أن كـــل البحـــوث العلمية يمكن أنتبدأ من مشكلة p1 نقدم لها بعض الحلول الاجتهادية في شكل نظرية مؤقتة TT وتتعرض هذه النظرية للنقد كمحاولة من جانبنا لتطبيق استبعاد الخطأ ،وهكذا تتعـــدد العملية الجدلية بظهور مشكلة جديدة ،وقد أشار بوبر الى هذه الصورة الجدلية ب :

$$P1 \longrightarrow TT \longrightarrow EE \longrightarrow P2$$[2]

وهذه الصيغة هي جوهر المنهج البوبري التي تجعل المعرفة العلمية عنـــد بـــوبر تتميـــز (نمو المعرفة المعرفة العلمية ،النزعة التطورية قابلية النظرية للتكذيب) وبالتـــالي فـــان

[1] – كارل بوبر ،منطق الكشف العلمي ،مرجع سابق ،ص26.

[2] محمد محمد قاسم ، نظرية المعرفة في ضوء المنهج ، مرجع سابق ص 44،45.

جوهر هذا المعيار يكمن في النقد وليس محاولة البرهنة . وبهذا أصبح كارل بوبر من أعظم الفلاسفة الذين أمنوا بنظرية التقدم الثوري للعلم ، هذا المفهوم الذي يرتبط بالنماء والتطور ، فالتقدم المستمر خاصية من خصائص المعرفة العلمية ،وقد صاغ هذا في معالجته البارعة لمنطق العلم المرتكز على التكذيب [1] وهكذا ينتقل الفكر العلمي من مرحلة سكونية إلى مرحلة ديناميكية تحمل الإبداع والتطور المعرفي .

وهذا **ما يكشف عنه تاريخ العلم** : حيث تم تصحيح قوانين **كبلر** عن حركة الكواكب السيارة، وقوانين **غاليلو** عن الحركة الأرضية بواسطة نظرية نيوتن ،والتي بدورها تم تصحيحها بواسطة النسبية العامة والخاصة ،وأيضا تم تصحيح الفيزياء الكلاسيكية بواسطة نظرية الكوانتم ،والتي تم تصحيحها بنظرية الكوانتم النسبية [2] ومنه فالمعرفة العلمية يحكمه قانون التغير

وعلى هذا الأساس فان بوبر يذهب إلى ماذهبت إليه الوضعية في قضية التمييز بين المعرفة العلمية والمعرفة اللاعلمية ،وذلك من خلال المنهج ،ولكن بتصور جديد وهو القابلية للتكذيب ، الذي يعتبر الحل في الفصل بين القضايا التي تنتمي إلى صالح العلمالامبريقي والقضايا التي لا تنتمي الصالح هذا العلم ، فالقضية العلمية هي القابلة للتكذيب ،أما الغير قابلة لذلك في غير علمية ، ولكن متى تكون القضية قابلة للتكذيب : يجيب بوبر "تكون القضية قابلة للتكذيب إذا كان لها مكذب واحد فقط محتمل منطقيا ،أي كان ممكن أن تتعارض منطقيا مع قضية أساسية[3]

[1] كارل بوبر ، منطق الكشف العلمي ، مرجع نفسه ،ص384.

[2] نيقولاس ماكسويل ، بوبر،كون ،لاكاتوش في فلسفة العلم والتجريبية موجهة الهدف ،تر: محمد دوير،روافد للنشر والتوزيع ،دط،2014،ص13.

[3] –محمد احمد محمد السيد ،التمييز بين العلم واللاعلم ، مرجع سابق ،ص80،81.

وقد دافع بوبر عن الموضوعية ومحاربة كل المواقف والنزعات الذاتية ،والنظرية الموضوعية هي تلك النظرية التي تقبل البرهنة والتي يمكن أن تتعرض للنقد العقلي [1]وأن هذا الأخير لا ينفي الموضوعية عن المعرفة العلمية ،فهو يرى بان المعرفة مشتركة بين الذوات أجمعين في كل زمان ومكان ،فهي واحدة أمام الجميع [2]فالمعرفة العلمية موضوعية

3الموقف الابستيمي لفيرابند من :(الوضعية المنطقية والعقلانية النقدية)

إن تحديد الموقف الإبستيمي لفيرابند من الوضعية المنطقية وكارل بوبر يدفعنا إلى البحث عن طبيعة العلاقة الموجودة بينهما ، وذلك لاعتبارات عدة ، لعل أهمها التشابه الموجود بينهما في المكان(فينا) ،وفي العصر (القرن العشرين) وفي التخصص (فلسفة العلوم) وذلك من خلا طرح التساؤل التالي :هل هي علاقة تواصل فكري وتأييد منهجي أم أنها عداء وصراع تحمل في طياتها الرفض؟

لا يمكن تجاهل تلك العلاقة التي جمعت بين (كارل بوبر و فيتغنشتاين وبول فيرابند) في جامعة فينا ،التي عاد إليها هذا الأخير سنة1947من ألمانيا التي درس فيها المسرح ، وذلك لدراسة التاريخ وعلم الاجتماع ثم انتقل بعده لدراسة الفيزياء، حيث نشر أول مقال له حول التوضيح في الفيزياء الحديثة ، وفي سنة 1948 كانت له أول زيارة إلى ندوة ألباخ بجمعية الكلية النمساوية ،وأصبح سكرتيرا للندوات ،وقابل كال بوبر ، و والترهولتشير ، وفي سنة 1951 حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة عن أطروحته "البنيات الأساسية "حيث تقدم بطلب للحصول على منحة المجلس الثقافي البريطاني للدراسة تحت إشراف فيغنشتاين في كامبردج ،لكن فيرابند توفي قبل أن يصل إلى انكلترا

[1] محمد قاسم ،نظرية المعرفة في ضوء المنهج ، مرجع سابق ،ص45.

[2]–يمنى طرف الخولي،فلسفة العلم في القرن العشرين ، مرجع سابق ،ص22.

فاختار كارل بوبر مشرفا عليه بدلا منه [1] وبهذا كان بوبر أستاذا لفيرابند أما عن طبيعة لعلاقة الفكرية الموجودة بينهما، اتخذت صورتين أو شكلين مختلفتين تماما :

فقد كان فيرابند في البداية وضعيا متطرفا يؤمن بأن العلم هو أساس المعرفة ،وأن المؤسسات غير التجريبية في نظره هي إما منطقية أو هراء ، حيث تأثر فيرابند في بداية حياته الفكرية بفلسفة كارل بوبر تأثرا كبيرا حتى أنه في غمار تأثره بهذه الفلسفة صرح ذات مرة بان أفكاره كلها ما هي إلا صدى للتراث الواقعي في الفلسفة وخاصة رؤية كارل بوبر لهذا التراث يقول :" لا أظن أن هناك فكرة قدمتها ولم يكن لها أساس في التراث الواقعي وفي تفسير البروفيسور بوبر له على وجه الخصوص [2]فهو يخبرنا أن فكرة أو مبدأ القابلية للتكذيب ،كانت تؤخذ في دائر كرافت كفكرة مسلم بها دون نقاش [3] وبهذا فقد تأثر بالعقلانية النقدية التي حملت ثورة في المفاهيم ، جعلت العلم خاضع لقانون النمو المعرفي المرتبط بالتقدم الثوري للعلم ، فأصبح هذا الأخير يحكمه منطق التقدم والتطور المستمر ،فأصبح هذا المبدأ هو الخاصية الأساسية للعلم والمعرفة التي ترتكز على مبدأ القابلية للتكذيب يقول احد فلاسفة الولايات المتحدة الأمريكية هيلاري بيتنام :" إن أعمال السيد كارل بوبر ألهمت كل طلاب فلسفة العلم تقريبا ، ولعل منهج بوبر في معالجة الفلسفة هو سبب هذا الإلهام و ذلك الاهتمام "[4]وعلى هذا الأساس فقد كان بوبر ظاهرة فكرية في فلسفة العلوم ، يمكن أن نطلق عليه سقراط القرن العشرين .

لكن سرعان ما انقلب فيرابند انقلابا شديدا على أفكار الوضعية المنطقية وشخصية بوبر ،حتى لا نكاد نطالع كتب فيرابند الأخيرة ولا نجد فيه هجوما شديدا ومبالغا فيه في بعض

---

[1]فيرابند ، موسوعة ستانفورد . مرجع سابق ، ص4.

[2] محمد أحمد محمد السيد ، التمييز بين العلم واللاعلم ،مرجع سابق ،ص 142،143.

[3] – بول فيرابند ،ثلاث محاورات في نظرية المعرفة ، مصدر سابق ،ص 7.

[4] – محمد أحمد محمد السيد ،التمييز بين العلم واللاعلم ، مرجع سابق ، ص 75

الأحيان ، على أفكار هذه المدرسة وكذلك كارل بوبر،حيث يظهر الموقف السلبي لفيرابند من المشروع الوضعي وكذلك البوبري في النقاط التالية :

يهاجم فيرابند التمييز التقليدي بين سياق الكشف وسياق التبرير،فدراسة المنهج العلمي ،وفقا لوجهة النظر السائدة في مجال فلسفة العلوم ،تشمل مجالين مختلفين :يتعلق الأول منها بمحاولة اكتشاف قواعد وتقنيات أو وسائل تستخدم في الكشف عن النظريات ،أما[1] الجانب الثاني فيختص بدراسة المبادئ الموضوعية لتبرير وتقييم النظريات المتنافسة في ضوء الأدلة المتاحة ، حيث أن نقد فيرابند لكارل بور التي من خلالها نقد الوضعية انطلق من الأسس التي قامت عليها هذه الاتجاهات ، وهو القابلية للتحقق والقابلية للتكذيب، حيث أن المبدأ الأول كان محل نقد وشك من طرف العديد من الفلاسفة والاتجاهات ويقصد بذلك مشروعية الاختبار(الاستقراء) هذا الأخير الذي كان محل شك من طرف الفلاسفة باعتباره ينطلق من مقدمات جزئية وليست كلية وبالتالي فإن نتائجه الاختيارية تخمينية وليست يقينية

وهذا التمييز بين سياق الكشف والتكذيب لا يصلح للعلم المعاصر الذي يقوم على فكرة النسبية ، وهذا ما نجده أيضا عند كون الذي رفض هو الآخر هذه الفكرة من خلال فكرة النموذج الإرشادي، يقول فيرابند من "الأخطاء الجسيمة فصل سياق الكشف عن سياق التبرير ،خاصة اذا كان هذا الفصل سيؤدي إلى لاستبعاد الكامل لعملية الكشف من مناهج البحث [2]

يذهب بوبر إلى أن الكثير من النظريات العلمية لا تقبل التكذيب ، لأن هذا المبدأ يقوم على استبعاد النظريات وتصحيح اخطأ العلم ، وهذا ما يتعارض مع مبدأ التعددية المعرفية التي تقبل كل المعارف الإنسانية دون استثناء، فهذه القاعدة حسبه تعيق نمو العلم وتطوره ، حيث يقول لو تخيلنا أن كلا من **كوبرنيقس** و**جاليليو** طبقا بصورة متسقة أمينة قواعد بور

[1] – بول فيرابند، ثلاث محاورات في المعرفة، مصدر سابق ،ص 14.

[2] – بول فيرابند ،ثلاث محاورات في نظرية المعرفة ، مصدر سابق ،ص.15

المنهجية لكنا لا نزال نعيش في مرحلة الفيزياء الأرسطية حتى الآن ، وينطلق **فيرابند** في نقده لبوبرمن خلال فكرة الفوضوية أو التعددية المنهجية .

فالقول حسب فيرابند بوجود معايير و قواعد ثابتة يعيق التطور والتقدم العلمي ،ويحد من حيوية المنهج العلمي لأن العلم ليس نشاطا عقلانيا فقط ، بلهو نشـــاطا لا عقلانيا أيضا ولعل أهم نقد وجهه فيرابند لهذه المدرسة ،أنها أقامت صرحها الفلســفي على أساس فكرة أحادية المنهج (المنهج العلمي) ،الأمر الذي لم يقبله فيرابند ،لأن هذه الفكرة تفرض الطابع الإلزامي والسلطوي التي تقيد الفكر البشري ، ليكون اخــتلاف فيرابند مع معيار القابلية للتكذيب عند بوبر والقابلية للتكذيب عند الوضعية المنطقيــة من اعتقاده بعد وجود طريقة واحدة محددة للتفكير أو للعمل ،وإنما هناك طرائق عديدة ، ومن هنا فلا مجال للحديث عن معيار التمييز أصــلا ، حيــث يقــول:"دع النــاس يحررون أنفسهم من قيود المنهجية ،ويختاروا ما يشاءون دون ضغط أو إكراه[1] .

فالتمييز بين العلم و اللاعلم من خلال المنهج الوضعي القائم على قابليــة الاختبــار، والقابلية للتكذيب الذي اعتبرته المعيار الفاصل بين هــذين النمطــين مــن المعرفــة الإنسانية يؤدي إلى تقييد العلم بفكرة السلطوية .

يمثل فيرابند من أعظم فلاسفة العلم المعاصرين الذين واصلوا المسار البوبري – ضد وضعي– ليدعموا المرحلة التالية من فلسفة العلم المتحررة من قصورات الوضــعية المنطقية و تطرفاتها ، رغم تأثره بها في بداية مساره الفكري ،

الغرض من الموقف النقدي:

يقول فيرابند : ليس غرضي هو استبدال مجموعة من القواعد العامة بمجموعة أخرى مختلفة ، وإنما غرضي هو إقناع القارئ بان كل مناهج البحث برمتهــا ،حتــى أكثرهــا

[1] محمد أحمد محمد السيد ، التمييز بين العلم واللاعلم ، مرجع سابق ،ص149.

وضوحا له حدود "[1] ليؤكد من خلال موقفه الإبستيمي أن المناهج العلمية كلها تشتمل على نقائص وحدود وسلبيات ، تجعل المفاضلة بينها أمر مستحل ، وبالتالي فجميعها صالحة للمعرفة العلمية . حيث يعتبر فيرابند إن الخطأ الذي وقعت فيه فلاسفة العلوم السابقين هو التأسيس لمناهج جديدة من خلال الرفض للمناهج السابقة ، حيث يذهب إلى انه إذا تأملنا التاريخ الماضي فسوف نجد أنه في مقابل كل قاعدة نريد الدفاع عنها ،توجد ظروف يتحقق فيها التقدم بكسر هذه القاعدة ، وهذا يعني أن مناهج البحث في أحسن الأحوال قائمة مشوشة من القواعد التقريبية [2].وعليه فان فيرابند أراد من خلال هذا أن يؤسس لديمقراطية منهجية تقبل كل المنهجيات،كما تقبل الديمقراطية السياسية تعايش كل الأجناس والثقافات البشرية

[1] بول فيرابند ، ثلاث محاورات في المعرفة ،مصدر سابق ،ص21.

[2] المصدر نفسه ،ص21.

❖ **خلاصة :**

إذا كان المنهج هو الأداة والوسيلة التي تؤدي إلى بناء المعرفة ، فان هذه الكينونة البشرية لما تميزت به من حس النقد ، قد عرفت العديد من المناهج العلمية ،محاولة في ذلك تقديم جواب عن السؤال : ماهي الأداة والوسيلة المناسبة للمعرفة العلمية ؟ لتجد نفسها أمام تعددية منهجيه ،جعلت فيرابند يؤسس لمفهوم معاصر لم تعرفه فلسفة العلوم الكلاسيكية ، نتيجة للثورات العلمية التي عرفها الفكر الإنساني خاصة في القرن العشرين لتؤدي إلى زعزعة العديد من المبادئ والأسس والمفاهيم التي قام عليها العلم الكلاسيكي ، فجاءت الابستيمولوجيا المعاصرة بتصورات وحدود جديدة تعكس تلك الحركية والديناميكية الفكرية سواء على المستوى المعرفي أو المنهجي ، تجلت من خلالها فلسفة النقد والثورة ،ليكون المنهج الصالح للعلم إشكالية جوهرية في فلسفة العلوم ، وهذا ما سنتطرق إليه في الفصل الثاني من هذا البحث.

الفصل الثاني

من فكرة المنهج

الى اللامنهج عند فيرابند

الفصل الثاني : من فكرة المنهج إلى اللامنهج عند فيرابند

مدخل :

بعد التحديد المفاهيمي لفكرة المنهج باعتباره الإشكال المحوري الذي كان محـــط اهتمام الفكر البشري منذ الفلسفات القديمة إلى غاية الفلسفة العاصرة في مجال في فلســـفة العلوم ، وتتبع مساره التاريخي عبر مختلف الحقب والعصور الفلسفية ، لتكون من بـــين الإشكالات الفلسفية في القرن العشرين ، هذا ما دفعنا في الفصل الثـــاني إلـــى محاولـــة الإجابة عن السؤال التالي : **ماذا نعني بالفوضوية الإبستيمولوجية عند فيرابند ؟ وكيف أدت إلى بناء صرح ومشروع فكري وعلمي معاصر يدور حول فكرة اللامنهج ؟ وما هي انعكاساته على الإنسان؟**

المبحث الأول : الفوضوية الإبستيمولوجية في فلسفة فيرابند:

إن نسبية المعرفة العلمية عند **فيراند** ونزعته النقدية نحو الفلسفات القديمة أدت إلـــى تأسيس رؤية معاصرة للمنهج العلمي التي ارتبطت بفكرة الفوضوية ، فماذا نقصـــد بهـــا ؟وما علاقتها بالمعرفة العلمية ؟

1-الفوضوية :

مصطلح يوناني مشتق من الكلمة اليونانية **avapxia**[1] التي تعني دون حاكم أو ملـــك أو رئيس ، وهذا المصطلح ترجمة لكلمة **anarchia**"أناركيا"وهي مكونة من شقين الأول **an** يعني الضد أو النفي والثاني **archia** يعني السلطة ،فالترجمة الحرفية للفظـــة هـــي اللاسلطة أو لا نظام أو بمعنى لا حكومة [2]

وفي المعجم الفلسفي للدكتور:"**جميل صليبا** "الفوضى **(anarchia)** هي الخلـــل الذي ينشأ عن فقدان السلطة الموجهة أو عن تقصيرها في القيـــام بوظائفهـــا ، أو عـــن

[1]- نور علي ، قاموس عربي يوناني ، مكتبة لبنان ، بيروت 1990 ص 276.

[2] - بيلي فرانك ، معجم بلاكويل للعلوم السياسية ، ترجمة ونشر مركز الخليج للأبحاث ، ط1، 2004 ص 25 .

تعارض الميول والرغبات أو نقص النظام والترتيب [1] فالفوضوية إيديولوجية اجتماعية وسياسية تمجد الفردانية و الإرادية ، فإرادة الإنسان تلعب الدور الحاسم في تحريك عجلة التاريخ ، ذلك أنها تطلق العنان للخيال وحرية الاختيار ، فالإرادة لا يحكمها قانون ثابت ولا يحيط بها منطق ، فلقد استلهمت الفوضوية مفاهيمها من أفكار فلاسفة أمثال "**شوبنهاور**"و"**نيتشه**" الذين غلبوا الإرادة على العقل ، وجعلوا منها الجوهر الحقيقي الباطني للشخصية ، فهي التي تحرك الحياة النفسية والسلوك كما تحدد الوجود كله، فلم يعد الوجود تطورا للفكرة المطلقة أو اللوغوس (العقل)[2]وبهذا فهي مذهب ينادي بإلغاء الرقابة السياسية داخل المجتمع ، مقررا أن الدولة أكبر أعداء الفرد ، وأن إلغاءها قضاء على الآفات والشرور الإنسانية ،فهي إجمالا تعني تدميرا للسلطة ومؤسسات الدولة بدعوى أنها ضد الإنسان[3] وعليه فهي مذهب يرفض كل قيد اجتماعي أو سياسي يلغي الفرد ، بل يجعل هذا الأخير محورا أساسيا داخل هذه المنظومات المختلفة .

وقد ذهب فيرابند إلى أن هناك فارق بين النسبية الفلسفية والفوضوية المعرفية ، فالأولى هي القول بان كل التراث التقليدي أو النظريات صادقة أو كاذبة بنسب متساوية أما الفوضوي ،يؤكد أمورا سخيفة على أمل أن يقود ذلك إلى صور جديدة من صور الحياة [4]

2-الابستمولوجيا:

جاء في القاموس الفلسفي الذي أشرف على وضعه **لالاند:**" تعني هذه الكلمة فلسفة العلوم ولكن بمعنى أكثر دقة ،فهي ليست دراسة خاصة لمناهج العلوم ، لأن هذه الدراسة موضوع للميثودولوجيا وهي جزء من المنطق ، كما أنها ليست أيضا تركيبا أو توقعا

[1] – جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، مرجع سابق ،ص 168.

[2] – عبد الرحمان بدوي ، مرجع سابق ، ص 34

[3] –وهبة مراد ، معجم المصطلحات الفلسفية ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ،ط2،1971، ص166.

[4]– بول فيرابند ، ثلاث محاورات في المعرفة ، مرجع سابق ،ص25.

حدسيا للقوانين العلمية ، أنها بصفة جوهرية الدراسة النقدية للمبادئ والفرضيات والنتائج العلمية ، الدراسة الهادفة الى بيان أصلها المنطقي لا النفسي وقيمتها الموضوعية ،وينبغي أن نميز الابستيمولوجيا عن نظرية المعرفة ، بالرغم من أنها تمهيدا لها وعمل مساعد لا غنى عنه من حيث أنها تدرس المعرفة بتفصيل وبكيفية بعدية في تنوع العلوم والموضوعات لا في وحدة الفكر [1]وإذا كانت نظرية المعرفة أعم من الابستيمولوجيا ، فان هذه الأخيرة هي بدورها أعمق وأعمق من الميتودولوجيا.

3- **الميتودولوجيا** من Mèthodos اليونانية ، ومعناها الطريق الى...المنهاج المؤدي الى ...وهي علم المناهج والمقصود هنا مناهج العلوم [2] فهي لاحقة للعمل العلمي وليست سابقة عليه ، بمعنى أ، المختص في علم المناهج فيلسوفا كان أم عالما لا يرسم للباحث الطريق التي يجب أن يسلكها ،بل انه على العكس من ذلك يتعقبه ويلاحق خطواته الفكرية والعملية :يصفها ويحللها ويصنفها ،وقد يناقش وينتقد ،كل ذلك من أجل صياغتها صياغة منطقية قد تفيد العالم في بحثه ، وتجعله أكثر وعيا لطبيعة عمله [3]وبالتالي فالميتودولوجيا تهتم بدراسة المناهج المعرفية سواء كانت علمية أو فلسفية .

فالابستيمولوجيا تتناول بالدرس والنقد مبادئ العلوم وفروضها ونتائجها لتحديد قيمتها وحصيلتها الموضوعية، فإن الميتودولوجيا تقتصر في الغالب على دراسة المناهج العلمية دراسة وصفية تحليلية ، لبيان مراحل عملية الكشف العلمي ، وطبيعة العلاقة التي تقوم بين الفكر والواقع [4] وان هذا التمييز بين دراسة مناهج العلوم كدراسة وصفية وبين الابستيمولوجيا من حيث أنها دراسة نقدية ،تبحث فضلا عن المناهج ، في الأسس والنتائج

[1] – أندري لالاند ،موسوعة لالاند الفلسفية ، المجلد الأول ،تعريب خليل أحمد خليل ، منشورات أحمد عويدات باريس ط1 1996 ص 357.

[2] – محمد عابد الجابري ، مدخل إلى فلسفة العلوم ،مرجع سابق ،ص ص22،23.

[3] – المرجع نفسه ،ص 23.

[4] – المرجع نفسه ص23.

على أن التمييز لا يعني الفصل بين هذين الميدانين لأن ترابطهما ضروري من حيث أن الابستيمولوجي لا يمكن أن يستغني في دراسته النقدية عن دراسة مناهج العلـــوم ، لأنـــه بحاجة قبل النقد إلى معرفة صيغة لمناهج العلوم التي يدرسها [1]وبهذا كانت الميتودولوجيا ، أحد الموضوعات التي تشتغل عليها ، وقد أصبحت مسالة المنهج محورا أساســيا فـــي فلسفة العلوم المعاصرة خاصة مع كارل بوبر ، وفيرابند.

❖ **علاقة العلم بالفلسفة:**

تمثل العلاقة بين الفلسفة والعلم أحد الإشكاليات الفلسفية التي تتناول الأسئلة التالية : ما هو العلم ؟ وما علاقة الفلسفة بالعلم ؟أي ماذا نتوقع من الفلسفة في مجال تعليمنا أي شـــي عن العلم ؟ هل هي علاقة انفصال أو تكامل ؟

أ-العلم: في اللغة الفرنسية :Science

في اللغة الانجليزية :Science

في اللغة اللاتينية:Scientia

العلم هو الإدراك المطلق، تصورا كان أو تصديقا ، يقينيا كان أو غير يقنـــي ، وقـــد يطلق على التعقل أو على حصول صورة الشيء في الذهن ، آو على أدرك الكلي مفهوما كان أو حكما أو على الاعتقاد الجازم المطابق للواقع أو على إدراك الشيء على ما هو به ،أو على إدراك حقائق الأشياء وعللها ،والعلم مرادف للمعرفة ، إلا أنه يتميز عنها بكونه مجموعة من معارف متصلة بالوحدة والتعميم [2]

والعلم مستوى معين من المعرفة وعلاقة محددة لعناصـــر المعرفـــة ، أي مجمـــوع المعارف المنضبطة المترابطة ، والمصطلح يعني المعرفة النظرية ، مثل علـــم الهندســـة

[1] – محمد وقيدي ، ماهي الابستيمولوجيا ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرباط ط2، ص9

[2]– جميل صليبا ، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية، دار الكتاب اللبناني،بيروت لبنان،د ط،1978، ص99.

،والفلك ، والطبيعة ، والبيولوجيا والعلوم الإنسانية كعلم الاجتماع ،وعلم الـــنفس.[1] العلـــم بوجه عام المعرفة ،وإدراك الشيء على نحو ما هو عليه ، وبوجه خـــاص دراســـة ذات موضوع محدد وطريقة ثابتة توصل إلى طائفة من المبادئ والقوانين ، وينصـــب علـــى القضايا الكلية والحقائق العامة المستمدة مـــن الوقـــائع والجزئيـــات أو الشـــكل للـــوعي الاجتماعي الذي يمثل نسقا متطورا تطورا تاريخيا من المعرفة التي يصير التحقـــق مـــن صدقها وتحديدها على نحو أكثر دقة خلال خبرة المجتمع العملية[2].

فمفهوم العلم أخص من المعرفة ، لان المعرفة قسمان : معرفة علميـــة (vulgaire)، ومعرفة علمية (scientifique)، والمعرفة العلمية أعلى درجات المعرفة ،وهـــي التعقـــل المحض ،والمعرفة الكاملة .

والعلم عند أرسطو أدراك الكلي لأنه لا علم إلا بالكليات ، كان العلم هـــو إدراك العلاقات الضرورية بين ظواهر الأشياء ، وهي غاية نظرية ،ولكل علم موضوع ومنهج يميزانه عن غيره [3]

ويذهب ابن سينا الى تقسيم العلوم إلي قسمين العلوم النظرية :وهي متعددة : العلـــوم النظرية ،والعلوم الطبيعية ،والعلم الإلهي ، والعلوم العملية وهي :الأخلاق وتدبير المنزل ،والمدينة ، ومن التصنيفات الحديثة للفلسفة تصنيف بيكون ، المبني على الملكات العقليـــة الضرورية لتحصيل العلم وهي ثلاث ملكات ،العقل وهو أساس العلوم الفلسفية ، التخيـــل وهو أساس العلوم الشعرية والذاكرة وهي أساس العلوم التاريخية [4] وبالتـــالي لا يمكـــن تحديد مفهوم دقيق للعلم

[1]– كميل الحاج ، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي عربي انجليزي ،مكتبة لبنان،لبنان،بيروت ، ط1،2000، ص355.

[2] – رحيم أبو رغيف ، الدليل الفلسفي الشامل ، ج2، دار المحبة البيضاء ، بيروت ،لبنان، ط1،2013،ص261.

[3]– جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، مرجع سابق ، ص99.

[4]– المرجع نفسه ، ص100.

ب- الفلسفة : Philosophie:

لفظ مشتق من اليونانية وأصله (فيلا _ صوفيا) ومعناه محبة الحكمة ،ويطلق على العلم بحقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح ، فكانت الفلسفة عند القدماء مشتملة على جميع العلوم وهي قسمان نظري وعملي أما النظري فيظم العلم الإلهي وهو الأعلى والعلم الرياضي وهو الأوسط والعلم الطبيعي وهو الأسفل ، أما العملي فيقسم إلى ثلاثة : أولها سياسة الرجل نفسه ، ويسمى بعلم الأخلاق ، والثاني سياسة الرجل أهله ويسمى بتدبير المنزل ، والثالث سياسة المدينة والأمة والملك، وقد عرفها أرسطو بقوله العلم بالأسباب القصوى للوجود أو العلم بالوجود بما هو موجود [1]

تدل الفلسفة في أوسع معانيها على جملة المحاولات التي قام _ و لا يزال_بها الإنسان بحكم انه موجود ميتافيزيقي ، ليتمثل مجموع الأشياء ومكانه من هذا المجموع ودوره فيه ،بنظرة واحدة شاملة تستوعب كل جزئية [2]فالفلسفة ميدا عقلي يتجاوز الفيزيقا ،ويبحث في الميتافيزيقا . وبالتالي فهما يختلفان من حيث الموضوع والمنهج والهدف ،و اذا كان العلم والفلسفة يسعيان إلى إدراك الحقيقة : فهل هذه الحقيقة واحدة؟

هناك اختلاف بين الحقيقة العلمية والحقيقة الفلسفية :

الحقيقة العلمية حسية : لان لها معطيات حسية تدرك مباشرة عن طريق الحواس أما **الحقيقة الفلسفية غيبية** : فهي تتناول قضايا ميتافيزيقية أي توجد وراء هذا المظهر الحسي.

الحقيقة العلمية موضوعية : تتلقاها الذات العارفة كما هي لأنها خارجة عن الذات

الحقيقة الفلسفية ذاتية ، لأنها ترتبط بأفكار وتصورا ت الذات ، الدليل على ذلك الاتجاهات والايديولوجيات الفكرية .

---

[1] مرجع نفسه ،ص 160.

[2] -عبد الرحمان مرحبا ، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ، منشورات عويدات ،بيروت لبنان ، ط27،1983،3..

الحقيقة العلمية كمية : أي يجب أن تكون ذات مقادير كمية يتحقق بها وجودها في حد ذاته أما الحقيقة الفلسفية فإنها إنشائية :لأنها حقيقة اعتقاديه ، فهي حقيقة ينشئها العقل ليكمل بها النقص الذي لا يجده في المعرف العلمية .

الحقيقة العلمية نسبية:: فمعيارها يختلف باختلاف أنواع العلوم الخاصة ، فالرياضيات حقيقتا تتمثل في انطباق نتائجها مع المبادئ التي تنطلق منها والفيزياء ترجع إلى مدى ثقة العالم في استقرائه ، **بينما الحقيقة الفلسفية مطلقة** لأنها ترتد إلى أن تكون نهائية وواحدة[1] ومنه فالحقيقة بما تتميز به من خصائص تختلف عن الحقيقة الفلسفية .

لكن هل هذا الاختلاف والتمايز الظاهر ينفي وجود علاقة بين الفلسفة والعلم ؟

✓ **علاقة الفلسفة بالعلم :**

إن الاختلاف والتمايز بين الفلسفة والعلم الذي ظهر بقوة خاصة في العصر الحديث نتيجة استقلال العلوم عن الفلسفة موضوعا ومنهجا ، لا ينفي وجود علاقة تداخل وتكامل بينهما ،تظهر من خلال ميدان فلسفة العلوم ، التي تعتبر حلقة وصل بين الفلسفة والعلم ، وقد نشأت كونه مبحثا أكاديميا متخصصا في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، هذه الحقبة التي شهدت ثورة علمية في مختلف الميادين ،خاصة الرياضيات والفيزياء ، حيث بينت يمنى طريف الخولي تلك العلاقة الوطيدة بين هذين المجالين من خلال قولها :**"فالعالم لا يفكر في ذاته ، ففلسفة العلوم هي التي تتكفل بذلك العبء و تضطلع بالتفكير في ذات العلم في منهجه ومنطقه وخصائص المعرفة العلمية وشروطها وطبائع تقدمها و كيفياته وعوامله"** [2]وقد شبه **اليكس رونبرج** علاقة الفلسفة بالعلم علاقة الناقد بالمبدع ، ففلسفة العلم ما هي إلا نقد للعلم ، وهي تقوم بما يقوم الناقد في مجال من المجالات من تحليل وتفسير العمل محل النقد ثن تقييمه و إيضاح مدى اقترابه أو ابتعاده عن الصورة

[1] محمود يعقوبي ، خلاصة الميتافيزيقا ،دار الكتاب الحديث ،الجزائر ،دط،2002،ص36،35،34،33.

[2]–يمنى طريف الخولي ، فلسفة العلم في القرن العشرين ، مرجع سابق ، ص 10

المثلى للإبداع[1]فالعلم يغذي الفلسفة بنتائج اختباراته والفلسفة تمد العلم بالنظرة الكلية الشاملة ، ولا شك أن تساند العلم والفلسفة أدى إلي تقدم العلم ونضج المذاهب الفلسفية [2]

وندلل على هذه العلاقة التكاملية بين الفلسفة والعلم ، ما عرفه العلم المعاصر من ثورات علمية مختلفة مثل الثورة الرياضية التي أدت إلى ظهور المهندسات اللاإقليدية **(هندسة ريمان ولوباتشفسكي)** والثورة الفيزيائية مع اينشتاين ، التي أدت إلى بناء مفهوم فيزيائي جديد للطبيعة ،والمبادئ التي تخضع لها

✓ **الفلسفة وتاريخ العلم :**

إذا كان الابستيمولوجي يتناول البحث في الأسس التي يقوم عليها التفكير العلمي ، فانه لا غنى للباحث في هذا الموضوع من تاريخ العلوم، يدرسه ويحلله،يقول بيير بوترو:"إن تاريخ العلوم المدروس بشكل ملائم، يزيد من حظوظنا في اكتشاف أسس التفكير العلمي واتجاهاته [3]وبالتالي هناك علاقة وطيدة بين فلسفة العلوم والتاريخ ،لأن الانجازات العلمية المختلفة ترتبط بالجانب التاريخي الفكري ، فتجاهل الماضي ممكن في العلم متعذر في الفلسفة فتاريخ العلم غير تاريخ الفلسفة ، إن تاريخ العلم هو شيء آخر غير العلم ، أما تاريخ الفلسفة فهو جزء من الفلسفة [4]وبهذا لا يمكن الحديث عن فلسفة دون تاريخ.

فالعلم ظاهرة إنسانية تتدفق في سياق الحضارة الإنسانية وبفعل الإنسان ، فلابد أن نسلم بقيمة تاريخ العلم في النظرة الفلسفية للعلم ، وبأنه فرع مهم من فروع المعرفة الإنسانية[5] فالتاريخ جزء من الحضارة الإنسانية خاصة الجانب المعرفي منا، وهذا يعتبر ردا على الاتجاهات التي فصلت بين التاريخ والفلسفة ,فقد قيل التاريخ الأب الشرعي

---

[1]– اليكس رونبرج ، فلسفة العلوم ، مقدمة معاصرة ،تر : احمد عبد الله السماحي وفتح الله الشيخ ،المركز القومي للقاهرة ، مصر العدد2011، ص09

[2]– عبد الرحمان مرحبا ، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ، مرجع سابق ،ص 53.

[3] – محمد عابد الجابري ، مدخل إلى فلسفة العلوم ، مرجع سابق ،ص40.

[4] – عبد الرحمان مرحبا ، مرجع نفسه، ص52.

[5]– يمنى طريف الخولي ، فلسفة العلم في القرن العشرين،مرجع سابق ،ص14.

للعلوم الإنسانية ولقد كان الاهتمام بالوعي التاريخي عصر التنوير ، من خلال التأكيد على مراحل نمو الفكر لبشري مع أوجست كونت ، ليأتي القرن التاسع عسر والقرن العشرين ويؤكد على قيمة التاريخ بالنسبة للمعرف العلمية ،حيث تحول التاريخ من الدراسة الهامشية ليصبح جزءا من الفلسفة.ليكون التاريخ أداة تصل الحاضر بالماضي[1]

ولعل من بين المفكرين الذين أكدوا على قيمة التاريخ والوعي التاريخي فلاسفة العلم المعاصرين (توماس كون ، لاكاتوش ، فييرابند)، الذين جعلوا التاريخ جزءا من المعرفة الإنسانية التي تساهم في التقدم.

4- الفوضوية الابسيمولوجية :

لقد تميزت الابستيمولوجيا المعاصرة عند" فيرابند" بنزعة نقدية للمنهج العلمي ،وذلك من خلال زعزعة الثقة فيه ، وإبعاد المركزية عنه وإحلال مكانها فكرة الفوضوية والتعددية المنهجية ،حيث ينتهي في نقده لقواعد المنهج العلمي إلى رفض فكرة وجود منهج علمي ،والقاعدة الوحيدة التي يزعم "فيرابند" أنه يقبلها هي شعاره المثير للجدل" **كل شيء يمر**" ،وهو بحسب تعبيره هو المبدأ الوحيد الذي يقبله والذي لا يعوق تقدم العلم[2] حيث أن الاقتناع بأن منظورا واحدا يقدم الحقيقة يعمي عن الحقائق التي تقدمها منظورات أخرى ، والاعتقاد بحقيقة ما غالبا ما ينتج عنه شيء من القمع[3] وبهذا فان مشروعه الفكري يقوم على رفض ذلك التصور الكلاسيكي الذي ينبني على تلك السلطوية المنهجية ، وبالتالي فالفوضوية عند فيرابند تساهم في بناء المعرفة والعلم وتلغي فكرة التمايز الموجود بين المعرفة العلمية والمعرفة اللاعلمية ،وهذا ما يجعلها تختلف عن الفوضوية السياسية التي تسعى إلى تحطيم كل القواعد التي ترتبط بجوانب الحياة ،وبهذا فقد قدم مقاربة جديدة في فلسفة العلم المعاصر ،لم تعهدها الابستيمولوجا القديمة من خلال تجريد

[1] – مرجع نفسه ، ص15

[2] –بول فيرابند ، ثلاث محاورات في المعرفة، مصدر سابق، ص21

[3]– بول فيرابند، طغيان العلم ، مصدر سابق ،ص 21

العلم من قيود المنهج ودعوته للتحرر المنهجي ، خاصة عندما أكد على فكرة الفوضوية المنهجية والمعرفية ، هذا المفهوم الذي نقله من الطابع السياسي إلى الابستيمولوجي ، ففكرة وجود منهج علمي يتضمن مبادئ ثابتة ودقيقة صارمة مطلقة تساعد على القيام بعملية البحث العلمي لهي فكرة متهافتة عند فيرابند ، بل وتواجه صعوبات منطقية وتاريخية وعملية لا حصر لها عند مقارنتها بحقائق تاريخ العلم [1]وعليه فانه يدعو إلى أن لا يكون العلم أسير منهج بعينه ، لأن حقيقته تختزل في الفوضوية (مشروع فوضوي) ، وعليه فالعلم في صميمه ليس معرفة منهجية ،فالقول بأن المنهج هو العنصر الثابت من العلم قد يفهم من بمعنى أن للعلم مناهج ثابتة لا تتغير ،وهذا فهم لا يعبر عن حقيقة العلم لأن كثيرا من العلوم قد غيرت مناهجها بتقدم العلم [2]وبهذا فالفوضوية الابستيولوجية رؤية فلسفية معاصرة أسسها فيرابند تنطلق من جعل العلم مفتوحا على كل المعارف والمناهج بعد تهديم تلك الرؤية الواحدية للمنهج ،لان فهم حقيقة العلم مشروط بالإيمان بفكرة الفوضوية .

وبالتالي فإن هذه الأخيرة من أهم المفاهيم المعاصرة التي ارتبطت بفلسفة "فيرابند"،ويظهر ذلك جليا في العديد من مؤلفاته خاصة مؤلفه الشهير "**ضد المنهج**"، " **ثلاث مجاورات في المعرفة** " وأيضا "وداعا أيها العقل ،والمقصود بها أنه لا توجد قواعد منهجية مفيدة ومستثنات تحكم تقدم العلم أو نمو المعرفة ، إن تاريخ العلم معقد لدرجة أنه إذا أصررنا على منهجية عامة سنقف أمام التقدم ، حيث يستهل فيرابند فوضويته المنهجية بالهجوم على مناهج البحث التقليدية في كافة صورها التي ما انفك فلاسفة العلم يروجون لها ويحاولون إقناعنا بأنها الفيصل بين العلم وغيره من ألوان الفكر الإنساني.

[1]– محمد أحمد محمد السيد ، التميز بين العلم واللاعلم ،مرجع سابق ، ص 146

[2] – فؤاد زكريا ، التفكير العلمي ، مرجع سابق ،ص25،26

المبحث الثاني: ضد المنهج والتعددية المنهجية ودورها في تطور العلم

1-ضد المنهج :

حيث أنه وبحلول أوائل السبعينيات من القرن الماضي كـــان فيرابنـــد ، مســـتعدا لتوضيح وجهة نظره الخاصة حول المنهج العلمي ، وفي عام 1970 نشر مقالة طويلـــة بعنوان "ضد المنهج "والتي هاجم فيها عدة روايات بارزة عن المنهج العلمي ، وقد خطط هو و **لاكاتوش** في مراسلاتهم لبناء مجلد للنقاش بعنوان " مع وضد المنهج "،حيث سيقدم **لاكاتوش** القضية بتصور**(عقلاني)** يرى بأن هناك مجموعة محددة من القواعد المنهجيـــة العلمية والتي تجعل العلم علما ، و التي سيهاجمها فيرابند ، ولكن وفاة لاكاتوش غيـــر المتوقعة 1974 ، قد صدمته لأن الجزء العقلاني من العمل المشترك لم يكتمل[1]

وقد ترجم ذلك الكتاب أو المؤلف إلى حوالي سبع عشرة لغة حتى عام 1994وهـــذا دليل على قيمة الأفكار التي تضمنها ،والذي يتكون من جزئين أساسيين :

الجزء الأول : قضايا ابستيمولوجية ومنطقية، والذي تناول فيه فكرة المنهج من الناحيـــة السلبية ومن الناحية الايجابية (فكرة الفوضوية المنهجية)

أما الجزء الثاني : فيتعلق ببعض النتائج السياسية والاجتماعية المترتبـــة علـــى الجـــزء الأول[2]حيث يعتبر هذا المؤلف من الأعمال الأخيرة التي أثارت نقاشا وجدلا حـــاد فـــي الأوساط الفلسفية المعاصرة ، ليحدث بلبلة شديدة تتوالى طبعاته إلى لغات عديدة ،وهـــي الدلالة التي تجعلنا نعتبره بمنزلة المسار الأخير الذي نعـــش تلـــك النظريـــة التبريريـــة اللاتاريخية للمعرفة العلمية وسؤالها المركزي الذي دار حول مسألة المنهج [3]الذي تحـــدى

---

[1] بول فيرابند ، موسوعة ستانفورد للفلسفة ،تر:منال محمد خليف ،دط،دت ، ص34.

[2]-بول فيرابند ، ثلاث محاورات في المعرفة ، مصدر سابق ص 9.

[3] – يمنى طريف الخولي ، فلسفة العلم في القرن العشرين ، مرجع سابق ، ص 22. -

فيه النظريات الفلسفية التقليدية في تفسيرها لأهداف العلم ومعطياته الأساسية ، ولعل أهمها نظرية الوضعية المنطقية وفلسفة كارل بوبر [1]الذي من خلاله اسقط تلك القداسة المنهجية ضد المنهج يمثل المصطلح الأساسي الذي قام عليه المشروع العلمي لفيرابند ورؤيـــة ابستيمولوجية للتصورات الكلاسيكية وللعقلانية النقدية ، وهذا ما يظهر جليا في مؤلفـــه ،ليؤكد على تعدد المناهج التي تفرض تعدد المعرفة ، حيث بدأ كتابه باعترافه انه ينـــوي الحديث عن نوع من الفوضوية المعرفية، فالعلم في رأيـــه عمـــل فوضـــوي[2] لتكـــون الفوضوية منطلقا لمشروعه الفكري .ليتحدى بذلك العديد من الدوغمائيات الفلسفية والعلمية .

2-التعددية المنهجية :

أ-مفهومه:

❖ **التعدد**

في اللغة الفرنسية :Dénombrement

في اللغة الانجليزية: Enumeration

التعدد مصدر عد وهو الفعل الذي يتم به إحصاء أجزاء الشيء مثال ذلـــك قـــول ديكارت :"أن أقوم في جميع الأحوال بإحصاءات كاملة ومرجعيـــات ومراجعـــات عامـــة تجعلني على ثقة من إنني لم اغفل شيئا ." ،وتعدد الشيء صار ذا عـــدد ، تقـــول تعـــدد الأصول ، تعدد النفوس ، تعدد الحقائق ،وتعدد الآلهة ، وتعدد الغايـــات ،وتعـــدد معـــاني الألفاظ ،وتعدد القيم .

[1] محمد احمد محمد السيد ، التمييز بين العلم واللاعلم ، مرجع سابق ، ص143.

[2] بول فيرابند ، ثلاث محاورات في المعرفة ، مصدر سابق ، ص 11.

وأما مذهب تعدد الحقائق : فهو القول ان في العالم قضايا وجودية كثيرة لـــيس لهـــا مقياس مشترك ، كالحقائق الحسية والحقائق المنطقية والحقائق الرياضية والحقائق الخلقية [1] فالتعدد بهذا المعني يحمل التغير ،الاختلاف والكثرة ،وهو نقيض الواحد (الواحدية).

والتعدد في فلسفة فيرابند يعني الفوضوية المعرفية ، تلك التي تنطلـــق مـــن كثـــرة المعايير والقواعد المنهجية ، ولا تقبل أحادية المنهج .

ب-الظروف والعوامل التي أدت إلى فكرة التعدد عند فيرابند.

إن فكرة التعددية المنهجية عند فيرابند قد كانـــت نتيجـــة للعديـــد مـــن العوامـــل والظروف المختلفة:

- العوامل والظروف الفكرية :

فالدارس لحياة هذه الشخصية الفذة يجدها قد ترعرعت في بيئة فكرية ابستيمولوجية ، قد كان لها تأثير مباشر في بناء مشروعه الفكري التعددي ، حيث ولد في مدينة فينا ونشـــأ فيها ، و درس في جامعتها (فينا)، التي كانت في تلك الآونة وما بعدها مركـــزا لإشـــعاع والنشاط العلمي والفلسفي والابستيمولوجي، ويكفي أن نذكر أنها كانت مقرا لأقطاب دائرة فينا (الوضعية المنطقية) ،ومن بينهم شيليك ، كـــار نـــاب ، ووايزمـــان ، فيتجنشـــتياين ،وغيرهما من أعلام الفكر، الفن ، والعلم العاصر [2] وهذا ما يظهر في الســـيرة الذاتيـــة لفيرابند التي يمكن تلخيصها في المرحل التالية:

- ✓ **حياة الجامعة (1948-1947)** : التي درس فيها التاريخ وعلم الاجتماع في معهد البحوث التاريخية النمساوية التابعة لجامعة فينا ، معتقدا أن التاريخ يهتم علـــى عكـــس الفيزياء بالحياة الحقيقية ، لكنه أصبح غير راض عن التاريخ وتوجه إلـــى الفيزيـــاء النظرية ، وفي هذه المرحلة التي اتخذ فيها طريق الوضعي المتطرف .ليكون بعد ذلك الوعي التاريخي منطلقا لتشكل الموقف الفوضوي عند ه.

[1] -جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، مرجع سابق ،ص303،302.

[2] محمد أحمد محمد السيد ،التمييز بين العلم واللاعلم ، مرجع سابق، ص 141.

في عام 1948 : التقى **بكارل بوبر** الذي قدم نفسه كمعارض رسمي لدائرة فينا ، والذي أعجب بفكره الوضعي ونظريته التقدمية للعلم من خلال (مبدأ القابلية للتكذيب) .فكانت له أول زيارة إلى ندوة ألباخ بجمعية الكلية النمساوية

- ✓ **الاتصال الأول بفتجنشتاين (1648-1952)**

في عام 1949: أصبح قائدا للطلاب في دائرة كرافت هذه الأخيرة التي هي عبارة عن نادي فلسفي ، سميت بهذا الاسم نسبة إلى فيكتوركرافت الذي كان عضوا في دائرة فينا ومشرفا على فيرابند في أطروحته .، هذه الدائرة عقدت اجتماعات من 1949 إلى 1952 ناقشت المشكلات الفلسفية ونتائج العلوم .

- ✓ **الحياة في كلية لندن للاقتصاد (1952-1953)** الفترة التي ألقى فيها كارل بوبر محاضراته ،والتي بدأت بالادعاء عن عدم وجود منهج في العلم [1]، ليكون هذا التنوع الفكري للنظريات المعرفية ، الإرهاصات الأولى للفوضوية .

- **الجانب الابستيمولوجي:(النزعة النقدية).**

ومن الدوافع أيضا التي شكلت التصور والموقف الفوضوي للعلم هو الاحتكاك بفلاسفة العلوم ، خاصة في جامعة فينا، خاصة العقلانية النقدية لـــ بوبر التي اختزلت مشكلة العلم في المنهج ، وندلل على ذلك بالمؤلف الشهير لـ بوبر "منطق الكشف العلمي "، الذي تناول فيه المنهج العلمي من الناحية السلبية خاصة مبدأ القابلية للتحقق ، لتشكل تلك النزعة النقدية لبوبر، وكذلك تلك الثورة العلمية التي عرفتها الفيزياء خاصة مع اينشتاين ، التي مثلت شرخا كبيرا في مراحل المعرفة العلمية الفيزيائية ، فأصبحت النسبية الخاصية الأساسية للعلم بدل فكرة المطلق والثابت وكذلك قانون الارتياب للعالم الفيزيائي هايزنبرغ الذي ذهب إلى عدم إمكانية تحديد الإلكترون أي ضبط سرعته وموقعه، لينهار معه أحد

[1]-بول فيرابند ، موسوعة ستانفورد للفلسفة ، مصدر سابق ،ص 14،16،18.

المبادئ العلمية (انتظام الظواهر والحتمية) التي لا طالما تغنى بها العلم الكلاسيكي [1]فكل هذه المسوغات كانت بداية للمسار الابستيمولوجيا فيرابند ،والتي جعلته في النهاية يعترف بكل المناهج والمعارف الإنسانية على حد سواء، و يعترف بفكرة الفوضوية .

ث –الجانب الثقافي والسيكولوجي : إن ما يميز المجتمع الغربي هو التعدد الثقافي والاجتماعي الذي يعيش في ظل الديمقراطية، ويظهر تأثره بهذه الفكرة عندما صدمنا بموقفه الغريب في التعامل مع المعرفة العلمية ، حيث يذهب إلى أن أفضل طريقة للتعامل مع هذه المعرفة العلمية عن طريق الاقتراع الحر في انتخابات نزيهة ،وبهذا نعطي للناس الفرصة لأن يدلوا برأيهم فعلى حد قوله نحن نقبل القوا نيين والوقائع العلمية دون أن نخضعها للتصويت ونجعل منه أساسا لأتحاذ القرارات الهامة [2]،

فالجانب الانثروبولوجي والديمقراطية كانت دافعا ايجابيا وليس سلبيا، ليكشف لنا عن دور الاختلاف في الثقافات والعادات والتقاليد في بناء مشروعه العلمي، ومن جهة أخرى فإن هذا الرجل تميز بكثرة الترحال، التي كان لها انعكاسا على تفكيره.

ج–مبدأ وفرة المناهج والنظريات (التعددية المنهجية) .

إن موقف فيلسوف العلم المعاصر باول فيرابند من المواقف الغريبة والأكثر جراءة في فلسفة العلوم ، ذلك أن مشروعه الفكري أقامه على رؤية مختلفة ، غيرت وجهة نظر فلاسفة العلوم من البحث عن المنهج الصالح لبناء حقيقة علمية يقينية ومطلقة تستوعب كل المعارف، إلى السؤال :ما إذا كان للعلم منهجا كليا واجدا يغني هذا الأخير عن اعتماد مناهج أخرى . والدارس لفلسفة المناهج يجد أن الفكر الإنساني قد عرف العديد من الفلسفات والاتجاهات التي حاولت بناء مناهج للوصول إلى المعرفة .

تتأسس فكرة التعددية المنهجية عند فيرابند من خلال فكرة الفوضوية واللامنهج ، الذي جعله يسخر من السؤال عن المنهج المناسب للعلم ، حيث اعتبره سؤالا زائفا لا يعبر

[1] محمد عابد الجابري ، مدخل الى فلسفة العلوم ،مرجع سابق ،ص 348.

[2]–بول فيرابند ، ثلاث محاورات في المعرفة ،مصدر سابق ،ض 29.

عن حقيقة المعرفة العلمية أو العلم ،وهو ما وقعت فيه الابستيمولوجيا الكلاسيكية التي تمركزت حول الواحدية المنهجية ، فنظريته الميتودلوجية هي " التعددية المنهجية " التي هي ذاتها الفوضوية أو اللاسلطوية المعرفية فان شئنا عنونا لفلسفته للعلم "العقلانية الفوضوية " التي ترفض بشدة تنصيب السلطة المعرفية لمنهج محدد وترفض أيضا تنصيب السلطة المعرفية للعلم بالذات [1] لأن التقدم العلمي ليس تقدما خطيا نحو الحقيقة أو عملية اجتماع نحو وجهة نظر مثالية ، بل هو محيط متوسع من البدائل ، كل منها يدفع الأخريات إلى مزيد من الوضوح في التفاصيل ،وتساهم كلها عبر عملية من المنافسة في نمو فهمنا [2] فالعلم ليس له منهج خاص به يميزه عن أي نشاط فكري أخر أو يجعله يستحق درجة اكبر من الاحترام باعتباره يقدم معرفة حقيقية صادقة ، حيث تواجه فكرة وجود منهج علمي يتضمن مبادئ صارمة لا تتغير وملزمة إلزاما مطلقا صعوبات جمة عند مقارنتها بنتائج البحث التاريخي ،إذ لا توجد قاعدة واحدة ، مهما بدت ممكنة ،أو مستندة إلى أسس ابستيمولوجية راسخة إلا وتم تجاوزها في وقت من الأوقات[3] وعلى هذا الأساس فانه يرفض الثبات و المطلقية في مشرعه خصوصا المنهج منه ، لأن تاريخ البحث العلمي يثبت التغير والتعدد ، هذه الأخيرة التي اعتبرها الدعامة الرئيسية التي قام عليها فكره ، وهذا ما يظهر جليا في مؤلفه الشهير "ضد المنهج"

فالتعددية صفة جوهرية في المعرفة العلمية أو العلم لأنها تجعل دائرة المعارف العلمية تتوسع ، لتشمل كل المعارف الإنسانية سواء كانت علمية او لا علمية حسب المفهوم القديم خصوصا التصور التجريبي والوضعي لأنه مهما بدت لنا قواعد المنهج التي يتشدق بها فلاسفة العلم ضرورية وأساسية ،فهناك دائما ظروف تستدعي ليس فقط

[1] يمنى طرف الخولي ، فلسفة العلم في القرن العشرين ، مرجع سابق ،ص422.

[2] –بول فيرابند، طغيان العلم ، مصدر ، ص 23.

[3] بول فيرابند ، محاورات في المعرفة ،مرجع سابق ،ص11،12.

تجاهل هذه القواعد ، وإنما تبني عكسها [1] لتكون عبارة "كل شيء يصلح في العلم " هي المعبرة عن حقيقة العلم ، فلا وجود لأفضلية منهجية أو معرفية ، فالمبدأ الأساسي الذي يجب أن يعترف به العلم إنما هو التعددية العلمية التقدمية في مقابل الواحدية السكونية .

د- اللامقايسة:

يعد هذا المفهوم من الأسس الفكرية التي قام عليها المشروع الفكري لفيرابند، الذي بين من خلاله التحول الشامل من أنموذج إلي أنموذج أخر ، ومن جماعة علمية الى جماعة أخرى ، دون أن يكون أي ارتباط بينهما .

واللامقايسة Uncommensurability أشار الى هذا المصطلح "لالاند" في معجمه الفلسفي بعبارة ما لا يقاس incommensurale ويقصد به ما ليس له قياس مشترك مع حد آخر ، فخط زاوية المربع هو بلا قياس مشترك مع الضلع [2]

واللامقايسة تعني عدم قابلية النظريات العلمية للقياس المتكافئ للحكم عليها بالمعايير نفسها ، واللامقايسة ترتبط بالوعي التاريخي[3]و يعتبر توماس كون أول من روج لهذا المصطلح في كتابه "بنية الثورات العلمية" من خلال فكرة النموذج الإرشادي التي بين من خلالها أن كل نظرية علمية لها نموذج خاص بها لا يتشابه مع النموذج الأخر ، سواء من حيث حدودها أو مشكلاتها أو من حيث تنبوائتها ، وهي الفكرة التي لم يرحب بها كارل بوبر ولاكاتوش[4] فالنظريات الفيزيائية قد تأسست على مفاهيم كلاسيكية كالمطلقية ، الكتلة ، الجاذبية التي تختلف كل الاختلاف عن النظريات المعاصرة

في الفيزياء بمفاهيمها الجديدة كالنسبية ، فمفهوم الجاذبية عند نيوتن ليس هو عند اينشتاين بل يختلف عنه .

---

[1] بول فيرابند ، محاورات في المعرفة ،مرجع سابق ، ص12

[2] –اندري لالاند ، ، الموسوعة الفلسفية ،مرجع سابق ،ص642.

[3]–يمنى طريف الخولي ،فلسفة العلوم في القرن العشرين ،مرجع سابق ،ص 423.

[4] المرجع نفسه ،424.

فاللامقايسة فكرة ومبدأ يؤكد فكرة النسبية للمعرفة العلمية ،وعدم المفضلة بين هذه النماذج المعرفية بعضها عن بعض في إطار إشكالية التمييز بين العلم و اللاعلم ، فكل النظريات المعرفية صحيحة في إطار مرجعيتها الفكرية أي ما تنتقل منه من مبادئ وأسس ،ولهذا نجد فيرابند يرحب بهذه الفكرة فاللامقايسة تكاد توازي مفهوم القطيعة عند غاستون باشلار ، فهي ترفض التراكم والاتصال المعرفي ، هذه الفكرة التي سادت في القرن التاسع عشر [1]، ففكرة اللامقايسة عند فيرابند لا ترتبط بالتقدم فقط ،بل هي مرتبطة بمظاهر الحياة بأكملها ،لأن العلم هو الحياة.

حيث يعد فيرابند بين الفلاسفة الذين تمسكوا بهذه الفكرة ودافعوا عنها ،حيث نجده قد استعمل هذا المصطلح في مقال نشره بعنوان "التفسير والاختزال والامبريقية "سنة 1962، حيث بين تصوره للامقايسة انها تتعلق بعلاقة الملاحظة بالنظرية وتوقفها عليها ، فدلالة المفاهيم والمقولات يتوقف على السياق النظري الذي يظهران فيه ،[2]

وعلى هذا الأساس كانت هذه الفكرة منطلقا لفكرة التعددية ورفض كل ما هو مطلق في المعرفة ،وكذلك مظاهر الحياة الثقافية والاجتماعية، لتنزع بذلك فكرة السلطوية .

3- تطور العلم:

فان كل تقدم أحرزته البشرية في القرون الأخيرة إنما كان مرتبطا بطريق مباشر أو غير مباشرة بالعلم. وإذا كان من المعترف به أن وجه الحياة على هذه الأرض قد تغير خلال الأعوام المائة الأخيرة ،فان الفضل في ذلك يرجع إلى المعرفة العلمية [3] وليس التفكير العلمي حشد للمعلومات العلمية أو معرفة طرائق البحث في ميدان معين من ميادين العلم ،وإنما هو طريقة في النظر إلى الأمور تعتمد أساسا على العقل والبرهان

[1] – يمنى طريف الخولي ،فلسفة العلم في القرن العشرين ،مرجع سابق ،ص 431.

[2] - شالمز الآن ،نظريات العلم ، مرجع سابق ،ص 137.

[3] – فؤاد زكريا ، التفكير العلمي ، مرجع سابق ،ص9

المقنع بالتجربة والدليل ، وهي طريقة يمكن أن تتوافر لدى شخص لـــم يكتســـب تـــدريبا خاصا في أي فرع بعينه من فروع المعرفة [1]

يذهب فيرابند الى أن تقدم العلم وتطوره لا يكون إلا برفض فكرة الالتـــزام بقواعـــد منهجية صارمة لأنه لا توجد قاعدة منهجية واحدة ، حيث يرى أنه مهما بـــدت القواعـــد المنهجية ضرورية وأساسية بالنسبة للعلم فان هناك دائما ظروف تستدعي ليس فقط تجاهل هذه القواعد ، وإنما العمل بعكسها [2]فالتطور العلمي عن عدم احترام لمنهج محدد ،علـــى عكس ما تراه الابستيمولوجا التجريبية فالعلم عبارة عن ممارسة يقوم بهـــا العلمـــاء ،لا تخضع لأية شروط معينة ومعايير ثابتة فالعلم من وجهة النظر هذه كان ولا يزال نشـــاطا انتقاليا ونتاجا مرحليا يمضي في تقدمه على رغم الاختلافات اللغوية والمنافسات القومية[3]

وعليه فالعلم عنده لا يجب أن يكون أسير منهج معين ، بل هو مشـــروع أنـــاركي (فوضوي) لا يعترف بأية سلطة تحد من نشاطه ، فكل المناهج مقبولة لتطور العلم ، لذلك لا توجد قاعدة واحدة مهما بدت ممكنة أو مستندة إلى أسس ابستيمولوجية راسخة إلا وتـــم تجاوزها في وقت من الأوقات،وكانت أسانيد "فيرابند" الأساسية في فحص تسلسل الأحداث الكبرى التي شكلت تاريخ العلم ليوقع أنها لا تأت عن طريق منهج واحد محـــدود ، بـــل مناهج عدة [4]فالعلم يعرف تطوره وتقدمه من خلال التعدد في المناهج والرؤى المعرفية ، وبالتالي نبذ كل فكرة اختزالية للمعرفة .

فالعلم ليس نظاما معرفيا مقدسا يستلزم الكفر بكل ما عداه أو خالفـــه ، انـــه نظـــام عقلاني وجب أن ينمو ويزدهر وسط الأنظمة المعرفية الأخرى ، على الرغم من أن العلم

---

[1] – المرجع نفسه ص،10

[2]– محمد أحمد محمد السيد : المرجع السابق ، ص 147

[3] – توبي أ.هف ، تر: محمد عصفور ، سلسلة عالم المعرفة ، ص29

[4] – يمنى طريف الخولي ، فلسفة العلم في القرن العشرين ، المرجع السابق ، ص 422

ليس البتة دينا فإننا نعامله من منطق الإجلال الديني من نظرة تقديسية[1] وبالتالي فان رفض فكرة المنهج الواحد هي السبيل الأمثل لتحقيق التقدم والتطور في العلم والمعرفة ،لأن وحدة المنهج تؤدي إلى قتل الإبداع وكبحه ، وهذا يتعارض ولا يتناسب مع النظرة الإنسانية ، فأصبح العلم ذاته ظاهرة إنسانية ، حيث انفتحت البوابة أمام الوعي التاريخي ليحتل موقعه بعد طول غياب ،والوعي التاريخي بدوره يعني الوعي بالظاهرة العلمية ليس كمحض نسق منجز ومنته بمنهج متعين وخصائص منطقية محددة [2] فالعقل العلمي الذي يؤمن به " فيرابند" هو ذلك العقل المنفتح الذي لا يعترف بوجود اللامعقول وما يتضمنه من مظاهر عدم الانتظام والتناقض والثغرات المنطقية والأساطير والخيال...فكل إبداع وكل ابتكار يتضمن قسطا مما يتجاوز العقل [3]وبهذا يذهب إلى أن المفهوم الجديد للعقلانية العلمية على أنها خطوة ثورية انقلابية وأن العقلانية متعلقة بإمكان التقدم ،والاختيار العقلاني هو الاختيار التقدمي [4]فأصبح نماء والتطور خاصية أساسية شيئا وجوهرية في العلم ، فليس هناك أية معايير ومقاييس ترشد العلماء خلال مراحل نمو النظريات العلمية .

فإحراز أي تقدم في العلم لن يأتي إلا بكسر العلماء لكل القواعد المتصورة للعقلانية ، والقاعدة الوحيدة التي يوافق عليها فيرابند هي شعاره العجيب كل شي يمر ، ويرى فيرابند أن المفاهيم التقليدية كالعقل والاستدلال والموضوعية تجاوزت الغرض الذي

[1] – نفس المرجع ، ص 423

[2] – نفس المرجع ، ص 426

[1]محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي ،العقلانية العلمية وانتقاداتها ،الدار البيضاء ، المغرب ، دار توبقال ،ط1،2006،ص 39.

[4] – يمنى طرف الخولي ، فلسفة العلم في القرن العشرين ، مرجع سابق ،ص385.

وضعت من اجله . [1] لأن التطور التاريخي للمنهج وتعدده ، أدى إلـــى تعـــدد المعرفـــة الإنسانية .وألغي فكرة التطرف المنهجي .

المبحث الثالث :من الفوضوية المنهجية إلى النزعة الإنسانية:

1-النزعة الإنسانية عند فيرابند :

إن ابستيمولوجيا فيرابند وشروعه الفوضوي يحمل في طياته نزعة إنسانية ، فكـــان من دعاة الموقف الإنسي ، الذي يسعى من خلاله إلى تحقيق أكبر قدر ممكن من الحرية للإنسان وذلك بإلغاء كافة القيود والالتزامات التي تحد من تحقيق الإنسان لإنسانيته ، وهذا ما يظهر من خلال قوله :" العلم أساسا عمل فوضوي ، والفوضوية النظرية الأكثر إنسانية من العلم ومن المرجح إنها تشجع التقدم أكثر من البدائل المنهجية المتمثلة فـــي القـــانون والنظام [2]

تظهر النزعة الإنسانية عند فيرابند بدعوته إلى العودة إلى ما هو خيالي ميتافيزيقي أي الجانب المعرفي اللاعلمي بتعبير النزعة الوضعية ، لان كثيرا من الأفكـــار أصـــبح حقيقة ،بعد أن كان ينظر لها على أنها وهم وزائفة ،فتحول الخيال إلى واقـــع .، وعلـــى العلماء أن يتبعوا خيالهم ، أو بحسب تعبيره ما يبدو لهم هاما ومثيرا لاهتمام.

حيث صارت العقلانية والموضوعية والمنطقية من المصطلحات الكلاســـيكية التـــي لا تعبر عن جوهر المعرفة العلمية بل أصبحت هذه الأخير ترتبط بالإنسان المتحـــرر مـــن قيود المنهج وسلطته فكان كتاب فيرابند ضد المنهج خطة لنظرية فوضوية فـــي المعرفـــة يهاجم فيها السلطوية في كافة صورها ويعلي من شأن العقل [3]:

[1] – محمد أحمد محمد السيد : التمييز بين العلم و اللا علم المرجع السابق ، ص 148.

[2]-بول فيرابند ، ثلاث محاورات في المعرفة ، مصدر سابق ،ص11.

[3] محمد أحمد محمد السيد : التمييز بين العلم واللاعلم ، مرجع سابق ، ص 148.

أ-**العلم والميتافيزيقا:**إذا كان العلم هو الدراسة التي تخص الظواهر الفيزيقية اي الظواهر الموجودة في الطبيعة المحسوسة ، كما اشرنا الى ذلك في الفصل الأول (البحث الثالث) فان :

أ – الميتافيزيقا :

في معناها الأصلي اليوناني ،تعني ما بعد الطبيعة وهو الاسم الذي يطلق لكتاب لأرسطو ، وذلك لوجوده في الترتيب بعد كتاب الطبيعة ضمن جملة المؤلفات التي جمعها (اندرونيكوس الرودسي) الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد .وعبارة ما بعد الطبيعة الدالة على هذا العلم الذي هو الفلسفة الأولى أو الإلهيات قد وردت في كتاب الإلهيات لابن سينا (الشفاء) يقول : " ومعنى ما بعد الطبيعة بعدية بالقياس إلينا ، فان أول ما نشاهده من الوجود ونتعرف على أحواله الوجود الطبيعي ،وأما الذي يستحق أن يسمى به هذا العلم ،إذا اعتبر بذاته ،فهو ما يقال له علم ما قبل الطبيعة ، لان الأمور المبحوث عنها في هذا العالم هي بالذات وبالعموم قبل الطبيعة [1] وبهذا فالميتافيزيقا هي الدراسة التي تتناول القضايا الغيبية التي تغيب عن عالم الحواس ،أي تلك التي تنفلت من المعطيات المعرفية الحسية ، حيث يبين الفارابي في كتابه (فلسفة أرسطو) " إن أرسطو شرع في كتاب ما بعد الطبيعة ينظر ويفحص في الموجودات بوجه غير النظر الطبيعي " [2] وبالتالي فالميتافيزيقا جزء من الدراسة التي لا يمكن تحققها في الواقع التجريبي ، حيث اعتبرت قديما هي جوهر الفلسفة ، لكن تأسيس المنهج التجريبي على يد رواد المنهج التجريبي في العصر الحديث جعلها تفقد قيمتها ، من منطلق إنها تتناول بالدراسة قضايا غيبية ،وهذا

[1] محمود يعقوبي ، خلاصة الميتافزياء ، مرجع سابق ،ص 11.

[2]– مرجع نفسه ، ص 11.

ما شارت اليه الوضعية المنطقية وكذلك العقلانية النقدية في القرن العشرين، حيث اعتبروها قضايا زائفة لا تقبل الاختبار ،ولا تقبل التكذيب [1] .

لكن هذا التصور قوبل بالرفض من طرف فيرابند انطلاقا من فكرة الفوضوية التي تؤمن بالتعدد المعرفي وكذلك مفهوم اللامقايسة ، يقول : انه من الممكن بشيء من المشقة والمحاولة وضع حدود ورسوم بين ما هو علمي وما هو لا علمي [2] بل اعتبر أن هذه القضايا الميتافيزيقة جزءا هاما من المعرف الإنسانية ، التي يمكن أن تفيد الإنسان فهي جز من الوجود الأنثروبولوجي له .

أ- العلم والمجتمع

يذهب فيرابند إلى أن العلم قد كان له الدور الكبير في تحرير الجنس البشر من كافة القيود السلطوية والإلزام الإيديولوجي، كان كما عبر هو عن ذلك ، قد كان في مقدمة الحرب ضد فكرة السلطوية وديكتاتورية التخلف والخرافة ، وتحرير الإنسان من الأفكار البالية

كما أن العلم في نظر فيرابند هو أساس حركة التنوير وذلك من خلال الإيمان بمكانته فالمجتمعات الغربية استطاعت أن تنقد كل شيء إلا العلم ، فليفي شتراوس الذي ذهب إن الفكر الغربي ليس هو القمة المتفردة للانجازات الإنسانية استثنى العلم [3] فالمتبع والمستقرأ لتاريخ المعرفة الإنسانية ، يجد أن الفكر الغربي حمل لواء التأسيس لمناهج علمية بهدف تحقيق التقدم الإنساني ، وتمثل الحركات العلمية لغاليليو والفلسفية لديكارت الفلاسفة التجريبيون اكبر دليل على ذلك ، من اجل تجاوز سلطان الفكر المدرسي ، الذي مارس أسلوب السلطوية على الفكر البشري.

[1] محمد أحمد محمد السيد، التمييز بين العلم واللاعلم ، مرجع سابق ، ص131.

[2] محمد أحمد محمد السيد : التمييز بين العلم و اللا علم مرجع السابق ، ص 142. -

[3] – بول فيرابند ، ثلاث محاورات في المعرفة ، مرجع سابق ،ص27

حيث يدعو فيرابند إلى أن النظريات العلمية يجب أن تكون نابعة عن اختيار حر للإنسان ، لأنه في ظل الفوضوية ، هناك مساواة بين مختلف المعارف ، حيث ساوى فيرابند بين منجزات الطب التقليدي كالوخز بالإبر الصينية ،والمداواة بالسحر ،وغيرها [1]بل يذهب إلى أعظم من ذلك فقد دافع فيرابند على التفكير المبني على الأساطير واعتبره جزءا لا يتجزأ من المعرفة الإنسانية الصحيحة التي تشكل الموروث الاجتماعي .

وبهذا يذهب فيرابند إلى أن العلم لا يتمتع بأي ميزة أو مكانة تجعله يتفوق على كافة الأنشطة الإنسانية المختلفة .

✓ **العلم والتاريخ:**

إذا كان التاريخ هو تلك الدراسة التي تتناول ماضي الإنسان (البعد الزماني له)،الذي يتناول الحضارات والحوادث الماضية ، فكيف كان موقف فيرابند من التاريخ؟ تقول يمنى طريف الخولي :"هكذا قطعت فلسفة القرن العشرين طريقا شاقا وطويلا ذا مراحل من حالة ضد تاريخية إلى وضع يتسلح بالوعي التاريخي ،ويستقبل على الرحب والسعة المنظورات التاريخية للعلم[2] ومن خلال هذا يمكننا القول : أن بول فيرابند من بين أعظم فلاسفة العلم المعاصرين الذين كانت لهم رؤية للتاريخ، فقد انطلق في فلسفته من فكر التعددية واللامقايسة التي جعلته يؤمن بكل المعرف الإنسانية ،باختلاف أشكالها، حيث رفض التصور الوضعي القائم على رفض التاريخ (ضد تاريخي)، تلك الفلسفة التي أعلت من المنهج العلمي فوق كل المعارف الإنسانية ، فنظرت للعلم نظرة قدوسية في مقابل التاريج.، وبهذا فان فيرابند يعتبر التاريخ نشاطا إنسانيا من انجازات الحضارة الإنسانية

ومن جهة أخرى نجد فيرابند يتخذ من التاريخ الفكري دليلا قاطعا على فكرة النسبية ،لان المتأمل في ماض المعرفة يجدها قد عرفت تطورا في سيرورتها الزمنية ،بل ذهب

[1]– المصدر نفسه ،ص30.

[2] يمنى طريف الخولى ،فلسفة العلم في القرن العشرين، مرجع سابق،ص430.

إلى أن التاريخ دليل أيضا على فكرة المقايسة ، وذلك من خلال وجود نمـــاذج معرفيـــة مختلفة، [1]ويذهب فيرابند انه ولكي يتقدم العلم لابد أن يتفاعل مع التاريخ ،لأنه جزء مـــن الحضارة الإنسانية، وبهذا فلقد ذهب فيرابند إلي عدم وجود تمييز بين العلوم الفيزيائيـــة والعلوم الإنسانية واعتبرها كلها إنسانيات ،بمعنى من المعاني ،كما أن الإنسانيات تتضمن معرفة لا يمكن إنكارها [2]

2-حدود : الحدود الابستيمولوجية لفكرة اللامنهج:

إن المشروع الفكري الذي جاء به **فيرابند** ، قد استطاع من خلاله حل أكبر مشكلة في فلسفة العلوم ، والتي ظهرت وبقوة في القرن التاسع عشر و وكذلك القرن العشـــرين خاصة مع "كارل بوبر" و هي مسألة المنهج .

لكن هذا التصور الابستيمولوجي الذي قدمه فيرابند لم يســـلم مـــن النقـــد ، فقـــد عارضه هو الأخر العديد من فلاسفة العلوم ، وبالتحديد المعاصرين له :

إن الفوضوية الفيرابندية جوهرها (كل شيء صالح في العلم) وعلى هذا الأساس ألغت الحدود الفاصلة بين الدراسات العلمية والدراســـات اللاعلميـــة ، فـــدافعت عـــن الميتافيزيقا في مقابل العلم ، وسوت بين الأفكار القبلية القائمة على العقل والمـــوروث الاجتماعي والثقافي ،وأمنت بالمساواة بين هذه الإيديولوجيات المختلفـــة فـــي مجتمـــع ديمقراطي ،بل دافعت عن الأسطورة والتنجيم ، واعتبرتها أكثر النظريات العلمية ،وأكثر تقدما ، بل ذهب إلى أن انجازات واضعي الأسطورة في العصور السابقة ، أفضل مـــن انجازات العلماء في كافة العصور ، وان مخترعي الأسطورة بدؤوا الحضـــارة ،بينمـــا اكتفى العلماء بتغييرها وليس إلى الأفضل دائما [3]وبهذا التصور فان فيرابند يعتبر من ألد

[1] بول فيرابند ، ثلاث محاورات في المعرفة ،مصدر سابق ،ص231-

[2] - المصدر نفسه ،ص16. -

[3] بول فيرابند ، ثلاث محاورات في المعرفة ، مصدر سابق ، ص 31.

أعداء العقلانية والعلم على حد سواء ، وبالتالي فهو ضد الإنسانية ، فهو أراد أن يعالج فلسفة العلوم فقتلها .

وهذا ما جعل توماس كون يذهب إلى اعتبار أن القضايا الميتافيزيقة قضايا غير علمية متفقا في ذلك مع بوبر ، فتاريخ التنجيم حافل بأمثلة فشل فيها المنجمون في تنبؤاتهم حتى في ازهي عصورهم ، حيث يرى أن أكثر الناس تحمسا للتنجيم لا يشك في احتمال تكرار فشل بعض تكهنات المنجمين ، ومن هنا لا يمكننا القول بعدم قابلية قضايا التنجيم للتكذيب أو بوجوب استبعاده من دائرة القضايا العلمية [1]فالتنجيم عند كون يمثل حرفة أو صنعة يتشابه مع التنبؤات الفلكية ، لا يمثل معرفة علمية .

أن هذا التصور الثوري والتقدمي لفيرابند جعله يلقى معارضة رهيبة من طرف العديد من الفلاسفة ،لأنه أسس لفكرة العدمية والعبثية التي تلغي كل الحواجز والقواعد ، و بالتالي كان مشرعا لفكرة اللانظام والفوضى المعرفية .والدعوة للرجوع إلى الفكر السوفسطائي الذي ساوى بين الصحيح والخطأ.

ومن المأخذ أيضا نجد في كثير من الأحيان فيرابند يدافع عن أفكار الكنيسة باعتبارها جزء من المعرفة التي عرفه الإنسان ، وبهذا تجده يدافع عن السحر والتنجيم ،وعن الممارسات اللاعلمية التي كانت سببا في تأخر أوروبا[2] وعلى هذا الأساس قد كان فيرابند ضد العقلانية وبالتالي ضد الإنسان .

[1] محمد احمد السيد ، التميز بين العلم واللاعلم ، مرجع سابق ،ص 163.

[2]-البعزاتي بالناصر، الاستدلال والبناء ،بحث في خصائص العقلية العلمية،دار الأمان المركز الثقافي العربي ،الرباط ،ط1999،1،ص198.

خلاصة:

إن هذه الرؤية الابستيمولوجية االتي قدمها فيرابند ، قد غيرت النظرة إلـــى فكرة المنهج والمعرفة الإنسانية بصفة عامة ، ألغت تلك الحواجز التي تميز بين ما هـــو علمي وما هو لا علمي ، لتنظر بذلك للمعرفة نظرة شمولية ، تتسع لكل الإيـــديولوجيات والمذاهب المختلفة ، لترفع شعار "كل شيء جائز" و بذلك كانت رؤية تحرريـــة بالنســـبة للعلم و الإنسان ، وبهذا جاء مشروعه مخالفا للنظرة القديمة ، ضـــد الوضـــعية ، ضـــد العقلانية ،ضد المطلق...

خاتمة

خاتمة :

في الأخير يمكننا القول بأن " باول فيرابند" يمثل فيلسوف العلم الثائر المشاغب ، الذي يعد ظاهرة فريدة من نوعها في فلسفة العلم والفلسفة بأسرها والحضارة الغربية ذاتها ، فهو أهم شخوص فلسفة العلم في مرحلتها الراهنة ،الذي استطاع أن يؤسس مشروعا فلسفيا لم يعهده الفكر الفلسفي من قبل، وهو ما يتجلى بوضوح في "فكرة اللامنهج "حيث بلغ الوعي التاريخي بالعلم معه انطلاقة لا تحدها حدود ، إذ جعل السؤال عن المنهج الصالح للعلم سؤالا وهميا، فأصبح لا يعترف بأحادية المنهج و مطلقيته، بل أصبح العلم " **مشروعا فوضويا**" ، ينزع كل القيود السلطوية التي تفرض الإلزام والقهر وكذلك الالتزام ، ليؤسس لفكر تحرري ، ثوري ناقد ذو نزعة إنسانية ،حيث أغنى الساحة الابستيمولوجية بمجموعة من الأطروحات والمفاهيم الجديدة ،التي أدت إلى توضيح الكثير من القضايا الفلسفية والعلمية ، لتحمل رؤية مخالفة لما كان سائدا في فلسفة العلم الكلاسيكية.

لتكون بذلك فكرة التعددية المنهجية حلا وسطيا للصراع والنزاع الذي شغل فلاسفة العلوم عبر تاريخهم الفلسفي حول مسألة الأفضلية المنهجية ، ليلغي بذلك تلك الحدود الفاصلة بين الدراسات العلمية واللاعلمية في ظل فوضوية ايجابية .

وبهذا كانت تعدديته المنهجية تهافت لكل ما هو مقدس في المشروع العلمي ، لتؤسس لنظام مفاهيمي جديد في فلسفة العلوم المعاصرة ،يستطيع أن يواكب تلك التحولات الثقافية والإجتماعية والمعرفية التي عرفها الفكر الإنساني ، ليفتح المجال أمام المعرفة للتقدم أكثر فأكثر.وليعطي للإنسان أكثر حرية.

قائمة المراجع

قائمة المصادر والمرجع :

أولا : المصادر.

1- بول فيرابند ، العلم في المجتمع الحر ، تر: السيد نفادي، وسمير حنا الصادق ، المجلس الأعلى للثقافة ،مصر ،دط ، 2000.

2- بول فيرابند ، ثلاث محاورات في المعرفة ،تر:محمد أحمد السيد،منشأة المعارف ،الإسكندية، مصر، د ط، د ت.

3- بول فيرابند ، ضد المنهج ، تر: ماهر عبد القادر محمد على ، طبعة للطالب ، الإسكندرية ،2005.

ثانيا : الموسوعات والمعاجم :

1-بيلي فرانك ، معجم بلاكويل للعلوم السياسية ، ترجمة ونشر مركز الخليج للأبحاث ، ط1، 2004.

2-جميل صليبا ، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية ، الشركة العالمية للنشر، بيروت ،لبنان ، ج2، 1979

3-عبد الرحمان بدوي ، الموسوعة الفلسفية ، الجزء الثاني ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،د ط، دت.

4- كميل الحاج ، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي ، عربي انجليزي ، مكتبة لبنان ،بيروت ،ط 1 ، 2000 .

5- معن زيادة ، الموسوعة الفلسفية العربية ، معهد الإنماء العربي ،مكتبة مؤمن قريش ، 1988 .

6-نور علي ، قاموس عربي يوناني ، مكتبة لبنان ، بيروت، د ط، 1990 .

7-وهبة مراد ، معجم المصطلحات الفلسفية ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ،ط2،1971، ص166.

ثالثا : قائمة المراجع

1-إبراهيم مصطفى إبراهيم ، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الإسكندرية ،مصر،ط2000،1،.

2-إبراهيم مصطفى إبراهيم ،منطق الاستقراء ، المنطق الحديث، الناشر المعارف بالإسكندرية مصر ،دط ،دت.

3-جنفياندرويس لويس، ديكارت والعقلانية ، تر: عبده الحلو ، منشورات عويدات ،بيروت ،باريس ،ط1988،4.

4- حربي عباس عطيتو ،ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1992 .

5- زكريا إبراهيم ، دراسات في الفلسفة المعاصرة ،دار مصر للطباعة ، د ط ، د ت .

6- زكي نجيب محمود ، المنطق الوضعي ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، ج2، ط4، 1966

7-زيتوني الشريف ، مشروعية الميتافزيقية من الناحية المنطقية ، تصدير محمود اليعقوبي ، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر ، دط، 2006.

8-عبد الرحمان بدوي ، فلسفة العصور الوسطى ، دار القلم ،بيروت ،لبنان ، ط3، 1979.

9-عبد الرحمان بدوي ، مناهج البحث العلمي ، وكالة المطبوعات ، شارع فهد السالم ، الكويت ، ط3، ،1977.

10-عبد الرحمان بدوي ،خلاصة الفكر الأوروبي ، خريف الفكر اليوناني ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط4 ،1970 .

11- عبد الرحمان مرحبا ، مع الفلسفة اليونانية ،منشورات عويدات ، بيروت ،باريس ،ط3،1988.

12- عزت قرني ، الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون ، تنفيذ وإخراج وطبع ذات السلاسل ،الكويت ،د ط، 1993.

13-عمار أبو رغيف ، منطق الاستقراء ، مكتبة مؤمن قريش ، د ط ، د ت.

14-فؤاد كامل ، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ، دار الجيل ،بيروت، لبنان ، ط1،1993

15-كارل بوبر ، منطق الكشف العلمي ، تر: ماهر عبد القادر علي، دار النهضة العربية للنشر والطباعة ،بيروت ،لبنان ، د ط ،1986.

16- لاري لودان ، العلم و النسبوية مسائل خلافية أساسية في فلسفة العلم ،تر:نجيب الحصادي و محمد أحمد محمد السيد، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ،ط1، 2015.

17- ماجدة مرسي جميل عزيز ، النظرية العلمية في الفكر المعاصر ،المكتب العلمي للنشر والتوزيع ، الإسكندرية ،مصر ،دط، 2001.

18-محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي ،العقلانية العلمية وانتقاداتها ،الدار البيضاء ، المغرب ،دار توبقال ، ط1 ،2006 .

19_ محمد عابد الجابري ، مدخل إلى فلسفةالعلوم ،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت ،لبنان،ط 5 ، 2002 .

20- محمد محمد قاسم ، نظرية المعرفة في ضوء المنهج ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر، د ط ،1986 .

21-محمد وقيدي ، ما هي الابستيمولوجيا ،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرباط ، المغرب ط2، دط ، دت.

22-محمود فهمي زيدان ، الاستقراء والمنهج العلمي ،دار الجامعات المصرية ، الإسكندرية ،مصر ، د ط ،1977.

23-محمود محمد علي محمد ، الفروض المساعدة ومكانتها في ميثودلوجيا برامج الأبحاث عند إمري لاكاتوش ، دار الوفاق للطباعة والنشر،أسيوط ، مصر،دط،دت.

24-محمود يعقوبي ، خلاصة الميتافزياء ، دار الكتاب الحديث ، الجزائر ، دط.

25- مروان عبد المجيد إبراهيم ، أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية ، مؤسسة الوراق ،عمان ، الأردن ، ط1، 2000، ص 69.

26- مصطفى إبراهيم ، في فلسفة العلوم ،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ،مصر، ط1 ،2000

27-نيقولاس ماكسويل ، بوبر،كون ،لاكاتوش في فلسفة العلم والتجريبية موجهة الهدف ،تر: محمد دوير،روافد للنشر والتوزيع ، د ط ،2014.

28- هادي فضل الله ، مقدمات في علم المنطق ، دار الهادي للطباعة والنشر لبنان،دط،دت.

29- يمنى طريف الخولي ، فلسفة العلم في القرن العشرين،سلسلة عالم المعرفة ، يناير 1978،إشراف أحمد مشاري

الملخص :

يمثل فيلسوف العلم النمساوي بول فيرابند من أعظم فلاسفة القرن العشرين الذي استطاع بفكره الناقد المبدع ،أن يؤسس مفهوما جديدا في فلسفة العلوم المعاصرة ، يتجاوز من خلاله النظرة الكلاسيكية للعلم التي قامت على أسس ومبادئ العلـــم القـــديم كالثبـــات والعقلانية ،الوضعية والدارس لفلسفته النقدية يجدها تدور حول فكرة المنهج ، الذي شكل محور اهتمامه ، ومشروعه الفكري الذي كان شغله الشاغل في جميع مؤلفاته "ضد المنهج "،"ثلاث محاورات في المعرفة "،"وداعا أيها العقل".

حيث ينطلق فيرابند من فكرة أساسية "الفوضوية المنهجيـــة " التـــي تمثـــل موقفـــا ابسيمولوجيا من فكرة المنهج ، والتي جعلته يتخذ رؤية مغايرة تماما للمقـــولات العلميـــة السابقة ،إذ رأي أنه لا يوجد منهجا واحدا للعلم ،بل هناك مناهج متعددة ،وكـــل المنـــاهج صالحة و جائزة ليحل بذلك أهم إشكالية في تاريخ الفكر الإنســـاني وهـــي التمييز بين المعرف العلمية والمعرفة اللاعلمية ،ليحطم بذلك التصور التجريبي الوضعي ، الذي امن بالمنهج العلمي الوضعي ،واعتباره الأداة والوسيلة المنهجية التي تقـــف وراء تقدم الإنسان وتطوره .

إن هذه النظرة الابستيمولوجية التي جاء بها فيرابند قد أدت إلى ثورة في ميدان فلسفة العلوم المعاصرة ، وكنتيجة لهذه الثورة تهافتت كل الأنساق القديم ، لتظهر على الســـاحة الفكرية مفاهيم جديدة : الفوضوية ،النسبية، اللاعقلانية ، التقدمية اللامقايسة .. ، وهـــذه النظرة المختلفة للمنهج والعلم ،كان لها انعكاس على جوانب الإنسان المختلفة التاريخية ، الاجتماعية .وتجعل للانسان أكثر تحرر..الخ ،وهذا ما جعل فيرابند يشكل أحد شـــخوص الفكر المعاصر ، ويكون مادة للدراسات اللاحقة لفهم مشروعه الفكري.

Résumé :

Le philosophe autrichien Paul Feyerabend, représente l'un des plus grands philosophes du XXe siècle, qui a su, grâce à sa pensée critique créative, établir un nouveau concept dans la philosophie contemporaine des sciences, qui transcende la vision classique de la science qui était basé sur les fondements et les principes de la science ancienne tels que la stabilité, la rationalité, le positivisme et l'étudiant de sa philosophie critique la trouve tournant autour de l'idée Le programme, qui formait le centre de son intérêt, et son projet intellectuel, qui était sa préoccupation dans tous ses livres "Contre la méthode", "Trois dialogues sur la connaissance", " *Adieu* la raison ".

Là où Feyerabend part d'une idée de base d'"anarchie méthodologique", qui représente une position épisiologique sur l'idée du curriculum, ce qui lui a fait porter un regard complètement différent sur les énoncés scientifiques précédents, puisqu'il a vu qu'il n'y a pas un programme pour la science, mais plutôt il y a plusieurs approches, et toutes les approches sont valables et permises pour résoudre le problème le plus important de l'histoire de la pensée humaine, qui est la distinction entre la connaissance scientifique et la connaissance non scientifique, afin de détruire la perception empirique positive, qui croyait en la méthode scientifique positive et la considérait comme la méthode et l'outil qui sous-tendent le progrès et le développement humains.

Cette vision épistémologique de Feyerabend a conduit à une révolution dans le domaine de la philosophie contemporaine des sciences, et à la suite de cette révolution toutes les anciennes disciplines se sont effondrées, pour apparaître sur la scène intellectuelle : anarchisme, relativisme, irrationalité, progressisme et asymétrie.., et cette vision différente de la méthode et de la science, elle a eu une réflexion sur les différents aspects historiques et sociaux de l'homme. Elle a rendu l'homme plus libéré..etc. C'est ce qui a fait de Feyerabend une des figures de la pensée contemporaine, et une matière pour des études ultérieures pour comprendre son projet intellectuel.

فهرس الموضوعات

مقدمة:..... **أ- ب-ج-د**

الفصل الأول: الخلفيات الأساسية لفكرة اللامنهج عند بول فيرابند..... 7 - 20

المبحث الأول: في مفهوم اللامنهج.....7 - 20

1- المنهج .....7 -10

2- تاريخية فكرة المنهج.....10- 20

أ – في الفكر الفلسفي القديم.....11- 12

ب- في الفكر الفلسفي الحديث.....12-18

ج- في الفكر الفلسفي المعاصر.....18-20

المبحث الثاني : نسيبة المعرفة العلمية.....21-31

1-النسبية.....21-22

2- مسارها التاريخي.....22-31

أ في الفكر الفلسفي القديم 12-27

ب- في الفكرالعصر الوسيط 27-28

ج- في الفكرالفلسفي الحديث 28-29

د- في الفكر الفلسفي المعاصر.....30-31

3 - المعرفة العلمية و نسبيتها عند فيرابند.....31-33

المبحث الثالث: نقد جذري للإبستيمولوجيا القديمة.....33-44

1- الوضعية المنطقية 33-36

2- العقلانية النقدية.....36-40

3- الموقف الابسيمي لفيرابند 40-44

الغرض من النقد.....44

خلاصة 45

الفصل الثاني : من فكرة المنهج إلى اللامنهج في فلسفة فيرابند.....47-66

المبحث الأول : الفوضوية الإبستيمولوجية عند فيرابند.....47-57
1- الفوضوية 47-48
2- الابستيمولوجيا 48-49
3- الميتادولوجيا.....49-55
4- الفوضوية الابستيمولوجية.....55-57

المبحث الثاني: ضد المنهج والتعددية المنهجية ودورها في تطور العلم.....57-72
1-ضد المنهج.....57-58
4- التعددية.....58-64
5- تطور العلم 64-66
المبحث الثالث: من الفوضوية المنهجية إلى النزعة الإنسانية.....67-72
1- النزعة الإنسانية.....67-70
2- الحدود الابستيمولوجية لفكرة اللامنهج 71-72
خلاصة الفصل 73
خاتمة :.....75
قائمة المصادر والمراجع 77-80
الملخص 81
فهرس

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic OF Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
MINISTRY OF HIGHER EDUCATION AND SCIENTIFIC RESEARCH
جامعة العربي التبسي، تبسة
LARBI TEBESSI UNIVERSITY, TEBESSA
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
Faculty of Humanities and Social sciences
قسم الفلسفة

تصريح شرفي

بالالتزام بالأمانة العلمية لإنجاز البحوث

ملحق القرار رقم933المؤرخ في 2016/02/20

أنا الممضي أسفله :

الطالب(ة) : نبلا رشيدة لمين ..... صاحب(ة) بطاقة التعريف الوطنية أو

رخصة سياقة رقم :[illegible] الصادرة بتاريخ : 2019/08/19 عن دائرة/بلدية : بئر العاتر

المسجل في السنة الثانية ماستر تخصص :فلسفة غربية حديثة ومعاصرة.

والمكلف بإنجازمذكرة ماستر بعنوان : فكرة اللامنجز عند بول فيرابند

.....

إشراف الأستاذ(ة) : فيصل زيات .....

أصرح بشرفي أنني ألتزم بالتقيد بالمعايير العلمية والمنهجية والأخلاقية المطلوبة في انجاز البحوث الأكاديمية وفقا لما نص عليه القرار رقم 933المؤرخ في 2016/07/20المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها.

التاريخ:.....

إمضاء المعني بالأمر

المصادقة على صحة التوقيع
السيد : امضاء رزايقية احمد
تبسة في 01 جوان 2022

مقبول:10-11.99 قريب من الجيد:12-13.99 جيد :14-15.99 جيد جدا16-17.99 ممتاز:18-20

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic OF Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
MINISTRY OF HIGHER EDUCATION AND SCIENTIFIC RESEARCH
جامعة العربي التبسي، تبسة
LARBI TEBESSI UNIVERSITY, TEBESSA

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
Faculty of Humanities and Social sciences

قسم الفلسفة

إذن بالطبع

أنا الممضي أسفله الأستاذ(ة) د. فيصل زياد .....

المشرف على مذكرة ماستر بعنوان : فكرة المنهج عند بول فيرابند

.....

والمكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص :فلسفة غربية حديثة ومعاصرة بعنوان

السنة الجامعية2021/2020.

إعداد الطالب (ة) : سارة رفيدة لطرش .....

تتوفر فيها الشروط المنهجية والعلمية، الشكلية والموضوعية، التي تؤهلها للمناقشة العلنية بعد تشكيل لجنة المناقشة، وبناءا عليه أوقع على هذا الإذن للطالب(ة) المعني(ة) بطبع المذكرة وإيداعها لدى إدارة قسم الفلسفة بنسخها الورقية والالكترونية.

تبسة في :

توقيع الأستاذ(ة) المشرف: